

ناجية مراني

آثار عربية في حكايات كنتربري

دار الرشيد للنشر

منشورات وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية
١٩٨١ ـــــــــــ سلسلة دراسات (٢٨٤)

آثار عربية في حكايات كانتربري

دراسة مقارنة

ناجية مرّاني
ماجستير أدب إنكليزي "مقارن"

نقاط البحث

تمهيد

آثار عربية في مؤلفات جوسر ـ في مجال الحب والفروسية ـ في مجال الفلك والنجوم ـ في مجال الحكايات ـ التعريف بحكايات كانتربري .

الفصل الأول

التشابه في الحكايات ـ علاقة تاريخية ـ حكايات جوسرية وعربية متشابهة ـ القسم الأول من حكاية الفارس الصغير ـ الحكاية العربية المناظرة لها ـ نقاط المقارنة ـ حكاية ثانية من جوسر ـ الحكاية العربية المناظرة لها ـ نقاط للمقارنة ـ حكاية ثالثة من جوسر ـ الحكاية العربية المناظرة لها ـ نقاط للمقارنة ـ خلاصة الفصل الأول .

الفصل الثاني

التشابه في الأسلوب ـ قصة الاطار ـ قصة الاطار في الكتب الأوربية ـ حكماء روما السبعة ـ الديكامرون ـ قصة الاطار في حكايات كانتربري ـ قصة الاطار في الف ليلة وليلة . نقاط للمقارنة ـ خلاصة الفصل الثاني .

الفصل الثالث

مفردات عربية في حكايات كانتربري ـ في المقدمة العامة ـ في حكاية الطحان ـ المحامي ـ البحار ـ حكاية السيد توباز ـ حكاية الفارس الصغير ـ حكاية حامل صكوك الغفران ـ حكاية مساعد الكاهن ـ خلاصة الفصل الثالث

الخلاصة

مصادر الدراسة

(فهرست المحتوى)

تمهيد

آثار عربية في مؤلفات جوسر

آثار عربية في مؤلفات جوسر

جفري جوسر (١٣٤٠ ـ ١٤٠٠) هو الشاعر الانكليزي الذي تعتبر أعماله أعظم انجاز في تاريخ الأدب الانكليزي قبل شكسبير ، كما تعتبر اللهجة التي كتب بها تلك الأعمال النموذج الأساس للغة الانكليزية التي وردت بها أعظم الآثار الأدبية لمن جاء بعده من شعراء الانكليزية وكتابها . إن عظمة جوسر ؛ كما يقول المتخصصون بدراسته ، تعود إلى اطلاعه على ما ابدعه شعراء الفرنسية والايطالية ، وقدرته على استيعاب ما أبدعوه وتوظيفه من أجل تعزيز واغناء الانكليزية بأساليب ومواد ومصطلحات جديدة . ومن أهم الأعمال التي خلفها هذا الشاعر عملان هما : ترويلس وكرسيدا Troilus and Criseyde وهي حكاية تدور حول الحب الفروسي ، وحكايات كانتربري The Canterbury Tales وهي مجموعة حكايات قصيرة وردت ضمن قصة إطار . هذا بالاضافة إلى قصائده الأخرى وإلى الأعمال التي ترجمها عن اللاتينية ، كفلسفة بينيوس ، والرسالة التي تتحدث عن الأسطرلاب(١) .

إن دراسة مؤلفات جوسر دراسة مقارنة مع العربية لتظهر بأن اطلاع هذا الشاعر على آثار الأمم الأخرى لم يكن مقتصراً على الفرنسية والايطالية ، ذلك لأن أعمال جوسر تشير إلى أنه كان مطلعاً على جانب كبير من الأعمال العربية التي كانت متداولة في زمانه ، وأنه استطاع أن يستوعب تلك الأعمال وأن يوظف محتوياتها في جوانب عديدة هامة من مؤلفاته . لقد اطلع جوسر على الكتب الاغريقية والرومانية

---

(١) Geoffrey Chaucer, The Complete Works, ed., W.W. Skear, London, 1957.-
Christopher Gillie, Longman Companion to English Literature, London, 1972, 439.

ملاحظة : قدم ملخص هذه الدراسة في الندوة العربية الثانية للفولكلور ، بغداد ، ١ ـ ٤ من ايلول ١٩٨٠ .

من خلال الترجمة العربية لتلك الكتب ، تلك الترجمة التي كانت مزودة بهوامش وتعليقات وشروح عربية أصيلة ـ وتعرف جوسر على الأعمال العربية من خلال ترجمة تلك الأعمال إلى اللغة اللاتينية أو إلى اللغات الأوربية الأخرى ، كما تعرف على كثير من الحكايات العربية عن طريق الترجمة أو السماع فوظف بعض تلك الحكايات ضمن حكاياته مادة واسلوباً ، كما أنه ذكر اسماء عدد من المفكرين العرب كالفلاسفة والعلماء والأطباء ونسب اليهم الكتب أو الحقول العلمية التي شهروا بها ، واستشهد بأعمالهم ومقولاتهم في مناسبات كثيرة ، كما أنه استعمل عدداً ليس بالقليل من المفردات وأسماء المدن والأماكن العربية في كتاباته . ويمكننا أن نصنف الآثار العربية الموجودة في مؤلفات جوسر إلى ثلاثة اصناف هي :

أولاً ـ آراء جوسر ونظرياته في الحب الفروسي وقد وردت تلك الآراء في قصائده وحكاياته ، ولاسيما في قصة ترويلس وكرسيدا وهي حكاية تعكس هذا النوع من الحب Courtly love . وقد سبق أن نشرنا دراسة تفصيلية مقارنة حول هذا الموضوع واستشهدنا بما ورد في حكاية جوسر المذكورة اعلاه من اشعار مناظرة بآرائها ومواقفها وتعابيرها لما ورد في قصائد الغزل وحكايات الحب وآراء الكتاب والفلاسفة العرب ومواقفهم من هذا الموضوع[٢] .

ثانياً ـ آراء جوسر ونظرياته في الفلك والنجوم والكواكب وتحركاتها وتأثيرها على حياة الانسان ومزاجه وطالعه ـ وتلك الآراء والنظريات واردة في معظم اعمال جوسر ، وهي كما يقول اخصائيو جوسر ، متأثرة إلى حد كبير بآراء الفلاسفة والفلكيين العرب ، ولاسيما الذين قاموا في العصر الوسيط بترجمة كتب الاغريق ، واضافوا إليها تعليقات وهوامش جديدة ، فجاءت كلها متأثرة بالفكر العربي[٣] . وأهم أعمال جوسر في هذا المجال ترجمته إلى اللغة الانكليزية كتاباً يبحث في وصف الاسطرلاب وكيفية عمله وفوائده . ويذكر المتخصصون في هذه الدراسات أن الشاعر الانكليزي جوسر ترجم إلى لغته نسخة لاتينية عن تلك الآلة الفلكية ، وأن تلك النسخة اللاتينية منقولة عن أصل عربي كان قد كتب في بغداد في القرن التاسع للميلاد أبان العصر العباسي . وقد أطلق جوسر على ترجمته اسم : رسالة عن الاسطرلاب Treatise on the Astrolabe ، واهداها إلى ابنه لويس ناصحاً إياه

---

(٢) ـ الحب بين تراثين لناجية مراني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ .

(٣) ـ G., Evans, **Chaucer**, London, 1977, 45-47.

بالاستفادة من المعلومات النافعة التي تحتويها بخصوص تلك الآلة ، وهي معلومات لم يكن يعرفها انسان في انكلترا آنذاك ، كما يقول جوسر في مقدمتها . وقد ورد في رسالة جوسر عن الاسطرلاب عدد من المفردات العربية ، وهي تشير إلى الأصل الذي نقلت عنه المعلومات الفلكية الواردة فيها . ومن أمثلة تلك المفردات نذكر ما يلي ، مكتوباً بلغة جوسر ومرتباً حسب وروده في الرسالة[٤]

الدبران	Aldebern
الغميصاء	Algomeysa
العبور	Alhabor
المقنطرات	Almikanteras
المناخ	Almanak
السمت	Azimuthz
قانون	Canon
نظير	Nadir

ومما لا شك فيه أن هذه النقطة تحتاج إلى دراسة فلكية مقارنة نتركها لذوي الاختصاص في موضوع الفلك .

ثالثاً ـ حكايات جوسر المعروفة بحكايات كانتربري ، تلك الحكايات التي تحتوي على آثار عربية في مضمونها واسلوبها ومفرداتها . وتلك الحكايات ستكون موضوع الدراسة المقارنة التي نحن بصددها الآن .

التعريف بحكايات كانتربري

حكايات كانتربري The Canterbury Tales هي مجموعة حكايات قصيرة ، معظمها شعرية ، وبعضها نثرية ، بدأ جوسر بكتابتها عام ١٣٨٧ للميلاد . وتعتبر أعظم أعمال جوسر ، كما أنها اعظم عمل من نوعه في تاريخ الأدب الانكليزي . وتقع تلك الحكايات ضمن قصة إطار تدور حول جماعة من الحجاج في طريقهم إلى بلدة كانتربري لزيارة مثوى القديس توماس بكت في كاتدرائية البلدة .

(٤) ـ دائرة المعارف الاسلامية. The Ency. of Islam, Vol 1,722 Chaucer, Op. Cit., 396-418

وعدد الحجاج واحد وثلاثون حاجاً يشكلون مقطعاً من المجتمع الانكليزي انذاك . وقد كانت خطة جوسر تقضي بأن يروي كل واحد من الحجاج حكايتين في طريق ذهابه إلى كانتربري وحكايتين في طريق عودته منها . إلاّ إن جوسر لم يستطع اتمام هذا المشروع فوصلت إلينا المجموعة تحتوي على اربع وعشرين حكاية تسمى كل حكاية منها وفق هوية أو حرفة راويها . ويجد القارىء أدناه اسماء بعض تلك الحكايات :

حكاية الفارس	The Knight's Tale
حكاية الطحان	The Miller's Tale
حكاية الموظف	The Reeve's Tale
حكاية المحامي	The Man of Law's Tale
حكاية البحار	The Shipman's Tale
حكاية رئيسة دير الراهبات	The Prioress's Tale
حكاية الراهب	The Monk's Tale
حكاية الطبيب	The Physician's Tale
حكاية حامل صكوك الغفران	The Pardoner's Tale
حكاية امرأة من باث	The Wife of Bath's Tale
حكاية الفارس الصغير	The Squire's Tale
حكاية مساعد الكاهن	The Canon's Yeoman's Tale

وتوجد بين تلك الحكايات قصص رومانسية تتحدث عن الفروسية والحب والمغامرة والسحر ، وحكايات دينية وأمثال ومواعظ ، وحكايات هزلية رخيصة . وهناك حكايات على السنة الحيوانات وغيرها .

إن دراسة حكايات كانتربري دراسة مقارنة توضح بأن تلك الحكايات تحمل آثاراً عربية في مضمونها واسلوبها ومفرداتها ، مما يشير إلى اطلاع مؤلفها على كثير من الأعمال العربية وافادته من تلك الأعمال في اغناء مجموعته بحكايات واساليب ومعلومات ومفردات عصرية كان يلذ للمجتمع الانكليزي سماعها آنذاك . ويمكننا تصنيف الآثار العربية الموجودة في حكايات كانتربري إلى ثلاثة أصناف هي :

آ ـ حكايات مألوفة في المصادر العربية . وأهم تلك الحكايات ما يلي :

١ ـ حكاية الفارس الصغير أو حامل الدروع ، وقد وردت بقسمين كل قسم منها مشابه لحكاية من حكايات الف ليلة وليلة .

٢ ـ حكاية حامل صكوك الغفران مشابهة لحكاية واردة في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري .

ب ـ اسلوب جمع الحكايات ضمن قصة واحدة هي قصة الحجيج هو اسلوب وارد في كتاب الف ليلة وليلة الذي جمعه صاحبه ضمن قصة شهريار وشهرزاد .

ج ـ مفردات ومراجع عربية استشهد بها جوسر في أماكن عدة من حكايات كانتربري بغية تنوير السامع الانكليزي وتزويده بمعلومات جديدة من جهة ، وبقصد تقوية حجة الكاتب وترسيخ مقولاته من جهة اخرى .

ويجد القاريء في ما يلي تفصيلاً لكل نقطة من النقاط الثلاث المذكورة أعلاه .

الفصل الأول
التشابه في الحكايات

الفصل الأول

التشابه في الحكايات

علاقة تاريخية

قبل التحدث عن الحكاية الجوسرية والحكايات العربية وما بينهما من تشابه ، نود أن نتطرق إلى العلاقة التاريخية التي تربط بين الآثار الأدبية العربية والأوربية ، ولاسيما في مجال الحكاية ، حيث أن المتخصصين في هذا الحقل يشيرون عند حديثهم عن تاريخ الحكاية الأوربية إلى أن ذلك التاريخ مشتبك بالحكايات العربية ، ويذكرون بأن الحكايات الشعبية التي انتشرت في اوربا بأشكال متعددة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ، كان معظمها من اصل عربي ، من ذلك الحكايات التي تتحدث عن البطولة والمغامرة والحب والسحر والجن ، ومنها الحكايات التي وردت على السنة الحيوانات ، وحكايات الأمثال والمواعظ وغيرها . ويشير النقاد مثلاً ، إلى حكاية فلورس وبلانشفلور الفرنسية التي شاعت في القرن الثاني عشر للميلاد تحت عنوان Floire et Blanchflor ووردت نسختها الانكليزية تحت العنوان الآتي : Floris and Blanchflur وذلك في منتصف القرن ذاته . وتدور هذه الحكاية حول الأمير فلورس ، وهو ابن ملك عربي ، وحبيبته الأوربية بلانشفلور التي بيعت إلى تجار نقلوها إلى بابل ، حيث استقرت في قصر حريم الملك . ولكن حبيبها استطاع أن ينقذها حيث دخل الحريم مختفياً في سلة زهور . وهذه الحكاية تتعلق بحكاية اخرى من أصل عربي أيضاً هي حكاية القاسم وحبيبته نيكولايت ، وهي من الرومانس الفرنسي أيضاً وعنوانها Aucassin et Nicolette ، وموضوعها الفرقة ثم اللقاء بين المحبين ، وتتخللها مغامرات ومواقف بطولة عديدة . وقد وردت هذه الحكاية شعراً ونثراً ، فكان الشعر يغنى والنثر يتلى .

وبالاضافة إلى الحكايتين المذكورتين فإن هناك مجموعة الحكايات التي ترجمت من اللاتينية إلى الانكليزية تحت عنوان : حكماء روما السبعة The Seven Sages of Rome وهذا الكتاب ، كما يقول المتخصصون ، مأخوذ عن حكاية السندباد (غير البحري) العربية التي ضاع أصلها . وقد وردت حكايات هذا الكتاب ضمن قصة اطار تدور حول أمير حكم عليه بالاعدام ، فقام كل من محاميه السبعة برواية حكاية على التوالي لمدة سبعة أيام ، وبذلك تأجل إعدام الأمير حتى ظهرت براءته . وهذا الاسلوب ، كما يرى القاريء ، مشابه للأسلوب الذي ورد به كتاب الف ليلة وليلة ، حيث أن كاتب حكايات الف ليلة جمعها ضمن قصة شهريار وشهرزاد حيث استمرت شهرزاد تروي حكايات ويتأجل قتلها ليلة بعد اخرى حتى نجت وبنات حواء جميعهن من الموت . وقد اتبع جوسر هذا الاسلوب نفسه عند كتابة حكايات كانتربري ، وسنشرح هذه النقطة بالتفصيل في فصل قادم . لقد وجدت حكايات الف ليلة وليلة طريقها إلى اوروبا قبل القرن الرابع عشر للميلاد حيث ظهرت آثار منها في حكايات ايطالية كما ظهرت حكايات مشابهة لبعض ما ورد فيها وذلك في مجموعة جوسر التي نحن بصددها الآن . فالقسم الأول من حكاية الفارس الصغير مشابه لحكاية الملك والحكماء الثلاثة الواردة في الف ليلة وليلة ، كما أن القسم الثاني من حكاية جوسر نفسها مألوف في اكثر من حكاية من الف ليلة وليلة كما سنرى . ومما يذكر هنا أن كتاب الف ليلة وليلة بعد دخوله إلى اوربا كاملاً في القرن السابع عشر للميلاد مهد السبيل الذي كان ينشده الأدباء الشعبيون في اوربا ، ولولاه لم يكن للأوربيين روبنس كروزو ولا رحلات جلفر ، كما أن بعض حكاياته ، ومنها حكاية علاء الدين ، وحكاية السندباد ، وحكاية علي بابا ، غدت جزءاً من الفولكلور الأوربي[٥] .

أما حكايات الأمثال والمواعظ العربية فقد ترجم الكثير منها إلى اللغات الأوربية . ويذكر أن مجموعة امثال لفلاسفة قدماء كانت قد جمعت في كتاب صنف في مصر في القرن الحادي عشر للميلاد من قبل مبشر بن فاتك ، وإن هذا الكتاب ترجم إلى الاسبانية واللاتينية وإلى اللغات الأوربية الأخرى ، وكان هذا الكتاب

---

(٥) H. Gibb, «Literature,» **in The Legacy of Islam,** (ed.) Sir Thomas Arnold and Alfred Guillaum, Oxford University Press, 1960, 180-209.

C. Jones, (ed). **Medieval Literature in Translation** London, 1952, 568.

M. Hume, **Spanish Influence on English Literature** London, 1950, 44-47.

The Ency. of Islam, 1, 358-364.

أول كتاب طبع في انكلترا تحت عنوان : أمالي وأقوال الفلاسفة : The Dictes . and Sayings of Philosophers وفي اسبانيا ، كتب دون جوان مانويل كتابه المعروف بكتاب الكونت لوكود ، ويحتوي على خمسين حكاية قصيرة يسأل خلالها الكونت مستشاره اسئلة تدور حول الأخلاق فتأتي الأجوبة على شكل حكايات . ويلاحظ أن مانويل كان قد ولد في طليطلة عام ١٢٨٢ للميلاد ، فتأثر بالثقافة العربية والحكايات العربية . ويقول المتخصصون أن عدداً كبيراً من حكاياته ورد مشابهاً لأصول عربية ، كما أن مقدمة كتابه مكتوبة على الطريقة التي اعتاد مؤلفو الكتب العربية أن يقدموا بها أعمالهم[٦] . ويذكر أيضاً أن مجموعة أمثال ومواعظ exempla كانت قد كتبت في اسبانيا وترجمت إلى اللغات الأوربية ومنها الانكليزية ، في العصر الوسيط ، وأن مؤلفها يقول أنها وردت على لسان فيلسوف عربي يعلم ابنه أخلاق الديانة المسيحية ، وإن هذه المجموعة تشكل خلفية لحكاية جوسر التي وردت على لسان حامل صكوك الغفران والتي تدور حول الطمع[٧] . ولكن الجدير بالملاحظة هنا هو أن هذه الحكاية بالذات مشابهة بحبكتها أو مخططها العام لحكاية واردة في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري . والدميري معاصر لجوسر ، ولكنه نسب الحكاية إلى مصادر عربية سابقة لعهده مما يشير إلى تداولها في الأوساط الأدبية العربية قبل ذلك التاريخ . وسوف نري القاريء أدناه نماذج من تلك الحكايات المتشابهة .

حكايات جوسرية وحكايات عربية متشابهة

في مجموعة كانتربري لجوسر ثلاث حكايات مشابهة لأصول وردت في مصادر عربية ، وتلك الحكايات هي :

أولاً ـ القسم الأول من حكاية الفارس الصغير ، وفيه تروى حكاية الملك مع الفارس الذي قدم له هدايا سحرية هي الحصان الطائر والمرآة والخاتم السحريين ، وتلك الحكاية مشابهة لاحدى الحكايات التي روتها شهرزاد في كتاب الف ليلة وليلة

(٦) ـ Gibb, **Op. Cit.**, 180-209.
Hume, **Op., Cit.**, 44-47.

(٧) W. Bryan and Germaine Dempster, (eds) **Chaucer's Canterbury Tales, Sources and Analogues**, London, 1958, 8-9; 415-439.

وهي تدور حول الملك والحكماء الثلاثة الذين قدموا له هدايا سحرية مشابهة لما ذكره جوسر في حكايته .

ثانياً ـ القسم الثاني من حكاية الفارس الصغير الذي يروي لنا قصة الأميرة كانيس التي أدركت حقيقة طبائع الرجال في التقلب وعدم الوفاء لنسائهم ، وذلك بعد سماعها قصة وردت على لسان الطيور ، وهذه الحكاية مشابهة لحكاية اخرى من كتاب الف ليلة وليلة وهي حكاية تاج الملوك والأميرة دنيا ، تلك الأميرة التي عزفت عن الرجال لأنها أدركت عدم وفائهم لنسائهم إثر رؤيتها حلماً من عالم الطيور يعكس هذه الحقيقة ، وهناك حكاية اخرى مشابهة وردت في كتاب الف ليلة وليلة أيضاً وهي حكاية ازدشير والأميرة حياة النفوس ، وهي تدور حول الموضوع ذاته .

٣ ـ حكاية حامل صكوك الغفران من مجموعة كانتربري وهي تشبه حكاية وردت في كتاب حياة الحيوان للدميري كما قلنا ، فالحكايتان تتشابهان في الموضوع الذي هو الموعظة وضرب المثل ، كما تتشابهان في الحبكة التي تدور حول عاقبة الطمع .

ويجد القاريء ادناه ملخص نصوص الحكايات المتشابهة .

القسم الأول من حكاية الفارس الصغير لجوسر

(٨) The Squire's Tale, I

يحكى أن ملكاً يدعى قمبيز خان اشتهر بالشجاعة والخلق الكريم مما يتحلى به الملوك والفرسان . وكان لذلك الملك ولدان وبنت واحدة ، اتصفت بالجمال الذي لا يضاهيه جمال ، ولا يقدر أن يصفه لسان ، حتى لساني الانكليزي فهو عاجز عن الاحاطة به ، حيث إن وصفها يحتاج إلى اديب بليغ أو شاعر مبدع كي يفي حقه . وكان من عادة هذا الملك أن يقيم احتفالاً لمواطنيه كلما حانت ذكرى تتويجه . وقد اتفق أن كانت الذكرى في منتصف آذار حيث كانت الشمس مشرقة تتلألأ في وجه المريخ الرابض في برج الحمل . بدا الجو مرحاً والطيور تحيي بوادر الخضرة بأغانيها الشيقة فرحة بخلاصها من سيف الشتاء القاسي ، والناس محيطون بالملك العظيم يشاركون بالأفراح ويصغون إلى نغمات الموسيقى ، وإذا بباب الديوان يفتح ويدخل

(٨) ـ A. Baugh, **Chaucer's Major Poetry**, London, 1964, 459-470.

فارس يمتطي فرساً من النحاس ، بيده مرآة من الزجاج ، وعلى اصبعه خاتم ذهبي ، وقد اسدل إلى جانبه سيفاً منتضىٰ . تقدم هذا الفارس إلى الطاولة الملكية ، وقد عرت الحاضرين دهشة عقدت السنتهم ، فلم ينطق أحد بكلمة ، بل وقفوا صغارهم وكبارهم مشدوهين يراقبون الفارس القادم .

تقدم الفارس وحيّا الملك والملكة والنبلاء بأدب واحترام ولياقة نطق بها لسانه ، وتحدثت بها قسمات وجهه ، حتى أن غاون ، فارس الملك أرثر ، لم يكن ليقدم خيراً منها[٩] ، ثم أدلىٰ برسالته بلغته ، متكلماً بطلاقة وصفاء عبارة تنسجم مع الاشارة . وإني لعاجز عن مضاهـاة كلامه ، ولا اتطاول لنقل بيانه ، وإنما اكتفي باعطاء محتواه العام كما تسعفني به الذاكرة .

قال الفارس : إن مولاي ملك الهند والبلاد العربية يهديك التحية ، ويقدم اليك في هذا العيد السعيد ، وبواسطتي أنا خادمك ، هذه الفرس النحاسية التي تقطع مسيرة الشمس كاملة في اربع وعشرين ساعة ، وذلك حينما تشاء ، وفي صحو أو مطر . وإن رغبت بالطيران وامتطاء متن الهواء كما يفعل النسر ، فان هذه الفرس تحملك سالماً وفي أي طريق تختار ، حتى لو أخذك النعاس وأنت على ظهرها . وإن شئت الرجوع ، فما عليك إلاّ أن تدير زراً فيها . إن الذي صنع هذه الفرس هو شخص مفكر ، تطلع وراقب تغيرات الأبراج السماوية ، ووجد البرج الصالح للعمل ، وهو عليم بطرق السحر . أما المرآة فهي تكشف للناظر فيها اشباح المصائب والأزمات التي ستحل بملكك أو بنفسك ، ستريك بوضوح من هم أعداؤك ومن هم أصدقاؤك . وفوق ذلك فإن أية امرأة جميلة وهبت قلبها رجلاً ، فإن هذه المرآة ستكشف لها خيانة رجلها متى ما خانها . ولذلك فإن هذه المرآة وهذا الخاتم قد ارسلا إلى ابنتك السيدة الممتازة المحبوبة ، وفضيلة الخاتم هي تمكين لابسه من فهم لغات جميع الطيور المحلقة في الفضاء ، ومن اجابة كل طير بلغته . وكذلك فإن هذا الخاتم يمكن لابسه من معرفة الأعشاب وادراك صلاحية كل منها لمعالجة مرض أو جرح تختص به . وهذا السيف المنتضىٰ الذي تراه معلقاً إلى جانبي ، له قابلية قطع أي

---

(٩) - غاون هو أبرز فرسان الملك أرثر . ويضع المؤرخون احتمال كون أرثر من ملوك السلتيين الذين قاوموا الغزو الانكلو سكسوني حوالي القرنين الخامس والسادس للميلاد . وتريه بعض الأساطير الويلزية وكأنه احد الآلهة أو الأرواح . وقد دارت حوله حكايات فروسية متعددة في العصر الوسيط انتشرت في فرنسا وانكلترا والمانيا . وبقي الانكليز يعتبرونه بطلاً قومياً حتى نهاية القرن السادس عشر للميلاد .

درع يضربه ، حتى لو كان هذا الدرع أضخم من جذع شجرة بلوط . وحين يجرح رجل بضربة من هذا السيف ، فإن الجرح الذي يحدثه لا يشفى إلاّ إذا مسه السيف ذاته مسة رقيقة . هذه هي الحقيقة وضعتها بين يديك ، وانك لجدير بتلقي الحقائق .

شكر الملك هذا الفارس وكرمه تكريماً يليق بهداياه الثمينة التي وضعت في مكان حصين تحت حراسة امينة ، ولكن الخاتم قدم إلى ابنة الملك كانيس ، وبقيت الفرس النحاسية ثابتة في مكانها ، ولم يهتد أحد إلى وسيلة أو حيلة أو ماكنة أو عتلة لتحريكها ، حتى هداهم الفارس ذاته إلى الحيلة التي بواسطتها تتحرك الفرس كما سنرى .

تجمع خلق كثير متدافعين ليروا الفرس الرابضة ، وكانت طويلة فارهة متناسقة كأي فرس نشأت في لمباردي ، سريعة حركة العينين ، كاملة الخلقة . دهش الحاضرون وتساءلوا عن الشخص الذي استطاع أن يصنع هذه الفرس الرائعة من النحاس ! وقال بعضهم : لا شك إنها جلبت من بلاد الجن . وقال آخرون غير هذا القول . . رؤوس كثيرة وبدوات كثيرة . تعالت همهمة الناس كخلية نحل ، وحدس كل واحد منهم وفقاً لخياله ، وردد بعضهم أبياتاً من الشعر كان قد حفظها ، وقال بعضهم : ربما كان هذا هو حصان سينون الذي استطاع الأغريق بواسطته أن يدمروا طروادة[10] فلنحذر لئلا يكون في داخله جنود مسلحون يخرجون فيحتلون بلدتنا . وقال آخر هامساً في اذن صاحبه : ذلك خطأ ، فالفرس أشبه ما تكون بحيلة سحرية شبيهة بالحيل التي يلجأ إليها المشعوذون في الأعياد الرسمية . ولكن بعد قليل ، اوقف الناس مجادلاتهم واحاديثهم ، شأنهم بذلك شأن الجهلة حين يواجهون بأشياء يعجز جهلهم عن ادراكها .

وتحير الناس بأمر المرآة وقالوا : كيف يمكن أن تعرف بواسطتها الأحداث قبل وقوعها ! وقال بعضهم : لا بدّ أن تكون قد احكمت ابعادها وزواياها وفقاً لقوانين الضوء ، وقالوا : أن هناك واحدة اخرى مثلها في روما . واشاروا إلى مؤلفات علمية

---

(١٠) ـ حصان طروادة : هو حصان خشبي ضخم فارغ الجوف أعده الأغريق عند حصارهم طروادة وملىء جوفه جنوداً مسلحين واتخذ حيلة لدخول المدينة . وسينون هو الشخص الذي إقنع الطرواديين بادخال الحصان إلى مدينتهم حيث استطاع الجنود الذين بداخله ان يحتلوها . وقد وردت هذه الحكاية في الكتاب الثاني من ملحمة الانياذا التي الفها الشاعر الروماني فرجيل ٧٠ ـ ١٩ ق . م وكان هوميروس قد أشار إليها اشارة خفيفة في ملحمته المعروفة بالاوديسا .

كتبها ارسطو والحسن[11] وويتلون وغيرهم من الذين كتبوا حول موضوع المرايا والبصريات . وتعجب آخرون بالسيف ، وتحدثوا عن تلفوس ملك مسينا ، وعن أخيل ورمحه العجيب الذي كان يأسو بنفس القوة التي بها يجرح . وتناقشوا حول الدهون المختلفة التي يستطاع بواسطتها جعل المعدن حاداً ، وحاولوا أن يعينوا الزمان والمكان والطريقة ، وهي امور لا افقهها أنا . ثم تحدثوا عن الخاتم المسحور الذي قدم إلى الأميرة كانيس ، وقالوا : لم يعرف مثل هذا غير سليمان وموسى . تحدث الناس كثيراً ، إلاّ أن جدلهم توقف وعجبهم بطل ، كمثل اولئك الذين كانوا يتكهنون حول أسباب حدوث الرعد والجزر والمد والضباب والطوفان ، وكيف يتطاير لعاب الشمس . . لقد ظلوا يتجادلون حتى عرفت العلل التي وراء تلك الأشياء . هكذا بقي الناس يحكمون وفقاً لقدراتهم حتى نهض الملك وغادر المكان بجلال تتقدمه اصوات الأبواق والمعازف ، ووصل إلى قاعة الاستقبال وانتصب على عرشه ، ثم استدعى الفارس الغريب ، فوقع عليه شرف الاختيار لمراقصة الأميرة كانيس ، وكانت افراح ومباهج ومراقص تفوق الخيال ، استمرت حتى حان وقت الغداء .

قام الغلمان باعداد الموائد ووضع التوابل والمقبلات، وجلب المشروبات والمأكولات ، فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ، ثم تركوا الموائد لأداء واجبهم الديني في المعبد . وبعد ذلك تقدم الملك إلى القاعة التي وضعت فيها الفرس ، ونظر هو ووزراؤه وحاشيته متأملين الفرس العجيبة ، وسأل الملك الفارس ورجاه أن يفسر له كيف تعمل هذه الفرس . وتقدم الفارس في الحال إلى الفرس ، وتناول لجامها فبدأت بالوثب والدوران ، وبدأ الفارس يشرح للملك قائلاً : إن الأمر لا يحتاج غير ادارة الزر الكائن في اذن الفرس ، وذكر المكان الذي يراد الذهاب إليه ، وحين تصل إلى المكان المقصود ، فما عليك إلاّ أن تدير الزر الآخر ، وهذا هو كل الميكانيك الموجود في الفرس . كان الملك يصغي إلى الفارس وقد تملكه سرور عظيم ، وأمر بنقل الفرس إلى القلعة .

وهكذا اتركـكم بفرح وسرور ، واترك الملك قمبيزخان ورجاله بفرح وسرور ، حتى فجر اليوم التالي .

انتهت حكاية جوسر

(١١)- يقصد جوسر هنا : الحسن بن الهيثم ، وسنتحدث عن ذلك في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

حكاية الملك والحكماء الثلاثة من الف ليلة وليلة[١٢]

فمايحكى أنه كان في قديم الزمان ملك عظيم ذو خطر جسيم ، وكان له ثلاث بنات مثل البدور السافرة والرياض الزاهرة ، وولد ذكر كأنه القمر . فبينما الملك جالس على كرسي مملكته يوماً من الأيام ، إذ دخل عليه ثلاثة من الحكماء ، مع احدهم طاووس من ذهب ، ومع الثاني بوق من نحاس ، ومع الثالث فرس من عاج وابنوس . فقال لهم الملك :

ـ ما هذه الأشياء وما منفعتها ؟

فقال صاحب الطاووس :

ـ إن منفعة هذا الطاووس أنه كلما مضت ساعة من ليل أو نهار يصفق باجنحته ويزعق .

وقال صاحب البوق :

ـ إنه إذا وضع هذا البوق على باب المدينة يكون كالمحافظ عليها ، فإذا دخل تلك المدينة عدو يزعق عليه هذا البوق فيعرف ويمسك باليد .

وقال صاحب الفرس :

ـ يا مولاي ، إن منفعة هذه الفرس أنه إذا ركبها انسان فإنها توصله إلى أي بلد أراد .

فقال الملك :

ـ لا أنعم عليكم حتى اجرب منافع هذه الصور .

ثم أنه جرب الطاووس فوجده كما قال صاحبه ، وجرب البوق فوجده كما قال صاحبه . فقال الملك للحكيمين :

ـ تمنيا عليّ .

فقالا :

ـ نتمنى عليك أن تزوج كل واحد منا بنتاً من بناتك . فانعم الملك عليهما ببنتين من

(١٢) ـ الف ليلة وليلة ، طبعة بولاق لسنة ١٢٥٢ هـ ، المجلد الأول ، ٥٣٤ .

بناته . ثم تقدم الحكيم الثالث صاحب الفرس ، وقبل الأرض بين يدي الملك وقال له :

ـ يا ملك الزمان ، انعم عليّ كما انعمت على اصحابي .

فقال له الملك :

ـ حتى اجرب ما اتيت به .

فعند ذلك تقدم ابن الملك وقال :

ـ يا والدي انا اركب هذه الفرس واجربها واختبر منفعتها .

فقال الملك :

ـ يا ولدي جربها كما تحب .

فقام ابن الملك وركب الفرس وحرّك رجليه فلم تتحرك من مكانها ، فقال :

ـ يا حكيم أين الذي ادعيته من سرعة سيرها ؟

فعند ذلك جاء الحكيم إلى ابن الملك وأراه لولب الصعود وقال له :

ـ افرك هذا اللولب .

ففركه ابن الملك وإذا بالفرس قد تحرك وطار بابن الملك إلى عنان السماء ولم يزل طائراً به حتى غاب عن الأعين . فعند ذلك احتار ابن الملك في أمره ، وندم على ركوبه الفرس ، ثم قال في نفسه : إن الحكيم قد عمل حيلة على هلاكي ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم . ثم أنه جعل يتأمل اعضاء الفرس ، فبينما هو يتأمل فيها إذ نظر إلى شيء مثل رأس الديك على كتف الفرس الأيمن وكذلك الأيسر ، فقال ابن الملك في نفسه : ما أرىٰ فيه اثراً غير هذين الزرين . ففرك الزر الذي على الكتف الأيمن فازدادت به الفرس سيراً طالعة إلى الجو ، فتركه ، ثم نظر إلى الكتف الأيسر ، فرأىٰ ذلك الزر ، ففركه ، فتناقصت حركات الفرس من الصعود إلى الهبوط ، ولم تزل هابطة به إلى الأرض قليلاً قليلاً وهو محترس على نفسه ، وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

انتهت حكاية الف ليلة وليلة

نقاط للمقارنة بين الحكايتين السابقتين

حكاية جوسر

ـ حكاية رومانسية موضوعها السحر تُعكس نزوع الانسان اللاواعي نحو تحسين ظروف حياته .

ـ فارس غريب يقدم إلى احد الملوك ثلاث هدايا .

ـ الهدايا تتكون من فرس مصنوعة من النحاس ومرآة وخاتم .

ـ الفرس تصعد في الهواء وتنزل بواسطة لولب أو زر .

ـ لا يعلم أحد سرّ حركة الفرس حتى يعلمهم الفارس .

ـ المرآة تري الناظر فيها من هم اعداؤه ومن هم اصدقاؤه .

ـ الخاتم يمكن لابسه من معرفة لغة الطيور .

ـ تتفرع من هذه الحكاية حكاية اخرى تتعلق بالخاتم .

الحكاية العربية

ـ حكاية رومانسية موضوعها السحر تعكس نزوع الانسان اللاواعي نحو تحسين ظروف حياته .

ـ حكماء ثلاثة يقدمون إلى أحد الملوك ثلاث هدايا .

ـ الهدايا تتكون من فرس مصنوعة من الابنوس والعاج وبوق وطاووس .

ـ الفرس تصعد في الهواء وتنزل بواسطة لولب أو زر .

ـ لا يعلم أحد سرّ حركة الفرس حتى يعلمهم الحكيم .

ـ البوق يزعق فيدل على الأعداء فيمسكون .

ـ الطاووس يزعق فيعين ساعات الليل والنهار .

ـ تتفرع من هذه الحكاية حكاية اخرى تتعلق بالفرس .

حكاية ثانية من حكايات كانتربري[١٣]

القسم الثاني من حكاية الفارس الصغيرThe Squire's Tale, II

قبلت الأميرة كانيس أباها وانصرفت مبكرة إلى مخدعها ، لأنها تود الاحتفاظ بتورد وجنتيها . واستيقظت في صباح اليوم التالي مبكرة أيضاً والفرح يناغي فؤادها بلقاء الهدايا التي باتت ملء احلامها وخيالاتها طوال الليل أخبرت الأميرة كانيس مربيتها بعزمها على الخروج للنزهة قبل أن تبدأ الشمس بالصعود . فاجابتها المربية جواب كبيرات السن اللائي يرغبن أن يكن حكيمات : ماذا يا سيدتي ! اتودين الخروج من البيت في هذا الوقت المبكر والكل نيام ؟ قالت الفتاة : نعم ، فما عدت اطيق البقاء داخل المنزل ، اود التمشي خارجه .

وهكذا خرجت كانيس من البيت جميلة زاهية مشرقة ، وانطلقت نحو المتنزه مع خمس أو ست من مرافقاتها . كان الفجر جميلاً ، وغناء الطيور قد أشاع الفرحة والبهجة في المكان ، ولكن الأميرة توقفت قرب شجرة عليها طيرة ، انثى صقر ، تنوح باكية بصوت حزين يقطع القلوب ، تنقر نفسها وتمزق جسدها وتضرب بجناحيها فيسيل الدم قانياً يصبغ اغصان الشجرة ، حتى رثت لحالها كل الطيور وبكت لبكائها كل حيوانات الغابة . كانت الصقرة تبدو رائعة بشكلها وريشها ونبلها بحيث لا يمكن أن يضاهيها طائر في ذلك المكان فهي تبدو وكأنها غريبة أو هي من الطيور المهاجرة . كانت ترمي برأسها بين لحظة واخرى مغشياً عليها لفقدها الدم حتى لتوشك أن تسقط من الشجرة . نظرت كانيس إلى هذه الأنثى المعذبة ، واستطاعت أن تتفاهم معها بفضل الخاتم المسحور الذي في اصبعها ، فسألتها :

- ما سبب هذا الجحيم من العذاب الذي تعيشين فيه ؟ أهو الموت أم الفشل في الحب ؟ إنهما اعظم مسببين للأحزان ، لأن الانسان يمكنه أن يزدري كل الأحزان الأخرى التي يستطيع تلافيها أو الانتقام لها . انزلي إليّ بحب الله ، أو اخبريني بأية وسيلة يمكن أن اساعدك ، فأنا لا أعرف في الشرق أو الغرب طائراً يحمل أسى وحزناً مثلك . إنه ليدمي فؤادي أن اشاهد منظرك هذا ، وإني لأشفق عليك من كل قلبي ، انزلي إليّ واتركي الشجرة ، فانا ابنة ملك ، وان اطلعتني على سبب الامك وكان بمقدوري مساعدتك ، فاني اتعهد أن اسوي

(١٣) Baugh, Op. Cit., 459-470..

كل شيء وفقاً لما تريدين ، هذه الساعة . يا إله السماء ! ساعدني وقوّني لأفعل ذلك ، سأبحث عن اعشاب ومراهم لأعالج جروحك في الحال إن انت رغبت بذلك .

حين سمعت الصقرة هذا الكلام صرخت صرخة مؤلمة وسقطت على الأرض مغشياً عليها ، وبقيت ساكتة كالصخرة لا حراك بها ، حتى رفعتها كانيس ووضعتها في حجرها برفق . بدأت الصقرة تستفيق ، وحين اصبحت قادرة على الكلام قالت بلغة الصقور مخاطبة الأميرة :

- ما اسرع ما تداخل الرحمة القلوب النبيلة . لقد شعرت بما اقاسي ، وإنه لجميل أن تشفق أميرة جليلة على صقرة مثلي . لقد قمت بما تقوم به كل انثى طيبة في مثل هذا الموقف ، ولكن لا سبيل أيتها العزيزة كانيس إلى تحسين احوالي . ومع ذلك فأنا سأتحدث امتثالاً لجميلك ، ولكي اكون عبرة لغيري ، فقد قيل قديماً : اضرب الكلب يرتدع الأسد .

كانت الصقرة تتحدث وهي تذوب حزناً ، وكانت الأميرة وصاحباتها يذرفن الدموع شفقة عليها ، حتى سألتهن الصقرة أن يكففن عن البكاء ويصغين إليها ، فواصلت كلامها قائلة :

- ولدت ، وتعساً ليوم مولدي ، ونشأت في صخرة من المرمر ولا شيء يزعجني ولا اعلم من هموم هذه الدنيا هماً ، حتى اشتد جناحاي وطرت في الفضاء . وكان هناك صقر ذكر يعيش قريباً من منزلي ، وكان يبدو عليه كرم الأصل والطيبة ، لكنه كان مليئاً بالخيانة والغدر . كان يلبس مسوح التواضع ، ويبدي آيات الوفاء ، ويفعل كل ما يسرني ، ويقف على خدمتي . من كان يظن إن لمثل هذا الصقر قدرة على الخيانة والانحراف ! كانت هذه القابلية مغلفة بغلاف الاخلاص والمودة ، كالحية التي تخفي نفسها بين الزهور وتنتظر اللحظة المناسبة لتضرب ضربتها . . لطالما سمعته يتأوه وينتحب ويتلهف إلى رضاي ، حتى استجاب له قلبي الأحمق البريء ، وخيل اليّ أنه سيموت من الحب والشوق ، وصدقت القسم الذي أقسمه ، ووثقت به ووهبته حبي ، على شرط أن يصون اسمي وشرفي أمام الآخرين . وكان قلبي ملكه ، ولكن يعلم الله ، لم يكن قلبه معي . لقد صحّ في ذلك قول الحكماء حين قالوا : لا تلتقي افكار اللص مع

افكار الرجل الأمين . وحين صارحته بحبي واخلاصي له ، ركع الصقر ذو القلبين امامي مظهراً التفاني والاحترام والتواضع ، حتى خيل اليّ ، وأنا جذلة ، أنه المحب المثالي النبيل ، وتفانيت في حبه ، وطاوعته بكل نزواته ، وعشنا معاً وأنا لا افكر ، ولن افكر بسواه . مضت سنتان أو ثلاث ولم اعلم منه غير الطيب ، ولكن الأقدار حكمت أن يغادر الأرض التي اعيش عليها أنا ، واخبرته بأني اقاسي آلام الموت لفراقه ، وودعني متحسراً حزيناً ، ولم يكن لديّ شك بأنه يلقىٰ الذي القىٰ ، وكنت واثقة من أنه سيعود . لقد كان عليه أن يذهب لأن نداء الشرف والواجب يناديه ، وشجعته على الذهاب ووعدته بحفظ العهد ودوام الود . وكان ما قاله جميلاً لم يدع لديّ شك في صدق . ولكن ، بعد أن امتلك نفسه ووقته ، كان كغيره من الرجال ، فالرجل كما يقال ، بطبيعته يهوىٰ الطعوم الجديدة . وكذلك كان الصقر الخائن ، فهو على الرغم من كرم محتده وملاحة صورته ومرحه وطيبته ، رأى حدأة على غصن وسرعان ما شغفته حباً ، ومن اجلها نسي حبي الطاهر وخان اليمين ونسي العهد ، وتركني ضائعة بلا أمل .

قالت الصقرة ذلك القول ، وبكت وانتحبت وخرت مغشياً عليها بين ذراعي الأميرة . وكان حزن الأميرة وصاحباتها عظيماً من اجل هذه الانثى المعذبة ، ولم يعرفن كيف يواسينها ويصلحن احوالها . رفعتها كانيس برفق وحملتها معها إلىٰ البيت ، وضمدت جروحها بلفافات ناعمة ، واحضرت لها العقاقير والمراهم من أغلى الأعشاب ، ووهبتها المحبة والعناية ، ووضعت لها بجانب فراشها قفصاً محلىٰ داخله بالقطيفة الزرقاء[١٤] رمز الوفاء الذي هو شيمة النساء ، ومطلي خارجه باللون الأخضر ، وعليه رسوم لخونة الطير من صقور وديكة وبوم ، وهناك رسوم عقاعق ، تعقعق مناكدة ومغايظة لهم .

انتهت حكاية جوسر

(١٤)- اللون الأزرق في زمان جوسر كان رمز الوفاء والثبات في الحب ، والأخضر هو لون النزق والخفة . وكانت ذكور الطيور المعروفة بتقلبها وخيانتها منقوشة على خارج القفص ليتعين كونها محرومة من الدخول إلى جنة الحب الوفي . وهذه الفكرة تذكر بالحكاية الرومانسية الفرنسية Romance de la Rose التي ترجم جوسر قسماً منها إلى الانكليزية ، فقد ورد فيها أن جنة الحب جدرانها من الخارج تحمل رسوماً لأشباح الفقر والهرم والنفاق التي لا يمكن لها أن تدخل إلى داخلها . وقد جاءت هذه المكانة الرمزية على شكل حلم ، وهذا النوع من الأدب كان شائعاً في اوروبا خلال العصر الوسيط .

حكاية تاج الملوك والأميرة دنيا ، من الف ليلة وليلة[15]

. . . لما سمع تاج الملوك بجمال السيدة دنيا ، اشتغل قلبه بحبها لأن السماع يحل محل النظر والاجتماع ، وما زال تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه ابوه فوجده متغير اللون ، فعلم أنه مهموم مغموم ، فقال له :

- يا ولدي اخبرني عن حالك وما جرىٰ لك حتى غير لونك .

فأخبره بجميع ما جرىٰ له من قصة دنيا من اولها إلى آخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين ، فقال الملك :

- يا ولدي ، إن أباها ملك وبلاده بعيدة عنّا ، فدع عنك هذا وادخل قصر امك ، وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائة قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال لضوء المكان وإن والد تاج الملوك قال له :

- يا ولدي إن أباها ملك وبلاده بعيدة عنّا ، فدع عنك هذا وادخل قصر امك ، فإن فيه خمسمائة جارية كالأقمار فمن اعجبتك منهن فخذها ، وإن لم يعجبك جارية منهن نخطب لك بنتاً من بنات الملوك تكون أحسن من السيدة دنيا .

فقال له :

- يا والدي لا أريد غيرها ولا بدّ لي منها وإلاّ أهج في البراري واقتل روحي بسببها .

فقال له ابوه :

- يا ولدي امهل عليّ حتى ارسل إلى ابيها واخطبها منه وابلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي مع أمك . وإن لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشًا يكون آخره عندي وأوله عنده .

ثم دعا بالشاب عزيز وقال له : هل أنت تعرف الطريق ؟ قال : نعم . قال : اشتهي أن تسافر مع وزيري . فقال له عزيز : سمعًا وطاعة يا ملك الزمان . ثم أحضر وزيره وقال له : دبر لي أمر ولدي كما تعرف ، واذهب إلى جزائر

---

(١٥) ـ الف ليلة وليلة ، ١ : ٢٥٥ وما يكتنفها من ليال .

الكافور ، واخطب بنت ملكها . فأجابه الوزير بالسمع والطاعة . ثم عاد تاج الملوك إلى منزله وقد زادت به الأمراض والحسرات . وحين جنّ عليه الليل انشد هذه الأبيات .

جنّ الظلام ودمعي زائد المدد	والوجد من شدة النيران في كبدي
سلوا الليالي عني وهي تخبركم	إن كان يرثي لقلبي في الهوى كمدي
ابيت أرعى نجوم الليل في سهر	والدمع منهمل في الخد كالبرد
وقد بقيت وحيداً ليس لي احد	كمثل صب بلا أهل ولا ولد

فلما فرغ من شعره وقع مغشيًا عليه ، ولم يفق إلاّ وقت الصباح . فلما أصبح الصباح جاء اليه أبوه فرآه قد تغير لونه وزاد اصفراره . فصبره ووعده بجمع شمله . ثم جهز عزيزًا مع وزيره واعطاهم الهدايا ، فسافروا أيامًا وليالي حتى اشرفوا على جزائر الكافور . فاقاموا على شاطيء نهر ، وانفذ الوزير رسولًا من عنده إلى الملك ليخبره بقدومهم . وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم ، لم يشعروا إلاّ وحجاب الملك وامراؤه اقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ ، فتلقوهم وساروا في خدمتهم إلى أن دخلوا بهم على الملك ، فقدموا له الهدايا وأقاموا عنده اربعة أيام ، وفي اليوم الخامس دخل الوزير على الملك وحدثه بحديثه ، واخبره بسبب مجيئه ، فصار الملك متحيرًا في رد الجواب ، لأن ابنته لا تحب الزواج . ثم رفع رأسه إلى بعض خدمه وقال له :

- اذهب إلى سيدتك دنيا واخبرها بما سمعت ، وبما جاء به هذا الوزير .

فقام الخادم وغاب ساعة ، ثم عاد إلى الملك وقال له :

- يا ملك الزمان ، إني لما دخلت على السيدة دنيا واخبرتها بما سمعت ، غضبت وقالت : إن كان ابي يغصبني على الزواج فالذي اتزوج به اقتله .

فقال ابوها للوزير وصاحبه عزيز :

- سلّما على الملك واخبراه بذلك وإن ابنتي لا تحب الزواج .

وادرك شهرزاد الصباح .

وتستمر الحكاية ، حتى نعلم في الليلة الرابعة والثلاثين بعد المائة السبب الذي دعا هذه الفتاة إلى العزوف عن الرجال والامتناع عن الزواج ، حيث إن تاج الملوك يسأل مربية دنيا عن سبب ذلك ، فتقول العجوز بأن الأميرة كانت قد رأت حلمًا

وهذا الحلم هو السبب في كرهها الرجال . وتقص المربية عليه المنام الذي رأته السيدة دنيا قائلة[15]

إن الأميرة دنيا كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادًا نصب شركًا في الأرض وبذر حوله قمحًا ثم جلس قريبًا منه . فلم يبق شيء من الطيور إلاَّ وقد أتى إلى ذلك الشرك ، ورأت في الطيور حمامتين ، ذكرًا وانثى . فبينما هي تنظر إلى الشرك ، وإذا برجل الذكر تعلقت في الشرك ، وصار يختبط ، فنفرت عنه جميع الطيور وفرت . فرجعت إليه امرأته وحامت عليه ، ثم تقدمت إلى الشرك ، والصياد غافل ، فصارت تنقر العين التي علقت بها رجل الذكر ، وصارت تجذبه بمنقارها ، حتى خلصت رجله من الشرك وطارت هي وإياه .

فجاء بعد ذلك الصياد ، واصلح الشرك وقعد بعيدًا عنه ، فلم يمض غير ساعة ، حتى نزلت الطيور وعلق الشرك في الانثى ، فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ، ولم يعد لانثاه ، فجاء الصياد وأخذ الطيرة الانثى وذبحها .

فانتبهت السيدة دنيا من منامها وقالت :

ـ كل ذكر مثل هذا ما فيه خير ، والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء .

انتهت حكاية المربية حول المنام .

نقاط للمقارنة بين الحكايتين السابقتين

حكاية جوسر

ـ الحكاية من الرومانس وموضوعها الحب والخيانة .	حدثت في عالم الطيور .
ـ الحكاية تطرح مسألة خيانة الذكور وتلك اطروحة معاكسة لما يقال عن خيانة الاناث .	ـ الأميرة كانيس فهمت حقيقة طبائع الرجال بعد سماعها قصة الصقرة المهجورة .
ـ التجربة التي رأتها الأميرة كانيس	ـ في الحكاية عنصر يمثل القوى الخارقة أو ما فوق الطبيعة وهو الخاتم المسحور الذي لبسته الأميرة .

(١٥) ـ كانت الحكايات التي على شكل احلام شائعة في الأدب الأوربي خلال العصر الوسيط . انظر هامش (١٤) أعلاه .

- الحكاية من الرومانس وموضوعها الحب والخيانة .	في عالم الطيور .
- الحكاية تطرح أيضًا مسألة خيانة الذكور وهي مقولة معاكسة لما يذكر عن خيانة النساء .	- الأميرة دنيا فهمت حقيقة طبائع الرجال بعد رؤيتها المنام وفيه قصة الحمامة المهجورة .
- التجربة التي رأتها الأميرة دنيا حدثت	- في الحكاية عنصر يمثل القوى الخارقة أو ما فوق الطبيعة وهو الحلم الذي رأته الأميرة .

حكاية ثالثة من حكايات كانتربري لجوسر[16]
حكاية جامل صكوك الغفران The Pardoner's Tale

كان في فلاندرز (بلجيكا) مجموعة من العابثين الذين يتصيدون الرذيلة ودور القمار ، يصطحب كل منهم مزماراً أو عوداً أو قيثارة ، يزمرون ويرقصون ليل نهار ، يأكلون ويشربون فوق ما يملكون ، يسبون ويشتمون ويكفرون ويمزقون جسد سيدنا ، حتى كأن اليهود لم يشفوا غليلهم منه . وجدت أن ثلاثة من هؤلاء العابثين كانوا في حانة يشربون ، فسمعوا صليل جرس معلناً مرور جنازة أمام باب الحانة . فدعا أحدهم صاحب الحانة وسأله عن هوية الميت ، فقال له صاحب الحانة :

- لا داعي للخروج والسؤال ، فقد علمت قبل مجيئك إلى هنا بساعتين أن الميت هو صديق قديم لكم ، وقد اغتيل البارحة فجأة وهو على فراشه ، إذ جاءه لص خفي يسمونه الموت ، وهو الذي يقتلنا جميعاً ، فاغتاله بلحظة وذهب دون أن ينبس بكلمة . لقد اغتال الألوف في موسم الطاعون هذا ، ومن الخير لك يا سيدي أن تبتعد عن طريقه وتحذره ، فأنا أظن أنه يسكن على مقربة منّا . فكن متهيئاً للقائه في كل لحظة ، إذ ربما يؤذيك حالاً .

فقال العابث :

(١٦) Baugh, Op., Cit., 490-501.

ـ هوه ، يا ساتر ! أهو شرس إلى حد لا يمكن مقاومته ؟ سأبحث عنه بحق النبي شارعاً بعد شارع . يا اخوان ، دعونا نقسم نحن الثلاثة ، هاتوا ايديكم لنتآخى في هذا الأمر ونكون يداً واحدة ، وسوف نقتل هذا الخائن ، الموت ، ونجهز عليه هذه الليلة كما قضىٰ على اصحابنا .

تحالف الثلاثة على أن يموت كل منهم من أجل الآخر ، واخذوا يعبّون كؤوس الشراب ، ثم خرجوا من الحانة وهم يترنحون لكي يفتشوا عن الموت . وما أن ساروا ميلاً واحداً حتى رأوا شيخاً طاعناً في السن فقيراً ، يتلفع برداء رث لا يظهر منه سوى وجهه . حياهم بأدب وتواضع قائلاً :

ـ حفظكم الله يا سادتي واعطاكم الراحة .

فأجاب أحدهم :

ـ ما هذا أيها الشيخ المأمون ، حد عن طريقنا . لماذا تتلفع هكذا ولا تظهر إلاّ وجهك ؟ لماذا عمرت هكذا طويلاً ؟ لقد حان اجلك .

نظر الشيخ إلى محدثه وقال :

ـ ذلك لأني تجولت في بلاد الله ابتداء من الهند ، مفتشاً وباحثاً عن شخص يبادلني شباباً بشيخوخة فما وجدت . وقد بقي لي عمري حتى يأذن الله . إن الموت نفسه لا يأخذ حياتي وا أسفاه لقد بقيت كالسجين انتظر على سطح هذه الأرض ، أمي ، ادق بابها بعصاي ليل نهار ، واصرخ قائلاً : « افتحي لي يا اماه حالاً ، انظري اليّ يا اماه ، دعيني ادخل ، لقد ذويت لحماً ودماً وجلداً والهفاه ، متى تستريح عظامي ، لشد ما اود استبدال عطائي بعطائك ، يا أمي الأرض » . لقد رفضت تلك الأم الجليلة طلبي ، وهذا سبب امتقاع وجهي . إنه لمن غير المشرف لك أيها السيد أن تكلم شيخاً كبيراً بخشونة ما لم يسيء اليك بقول أو عمل ، أنت الآن في سن الشباب ، وستلاقي في شيخوختك حدثاً يسيء اليك . الله معكم أيها السادة وانا ذاهب في سبيلي .

قال أحد العابثين :

ـ بحق الله ، لن أدعك تذهب بمثل هذه السهولة ، فقد سمعتك تتحدث قبل قليل

عن خائن يدعى الموت قتل الكثيرين من هذه المنطقة ، ولا بدّ أن تكون جاسوساً له ، لقد اتفقت مع الموت على أن تقتلانا ، نحن الشباب ، وتبقيا ، قل لي ، أين هو الموت وإلاّ لقيت العقاب ، أيها اللص الحقير .

فأجاب الشيخ :

- حسناً أيها السادة ، انعطفوا نحو هذا الطريق المتعرج ، تجاه تلك الغابة ، فقد تركته اليوم هناك تحت شجرة ، فليس هو الشخص الذي يخفي نفسه خوفاً من تهديداتكم ، هل ترون شجرة البلوط هناك ؟ إنه ليس ببعيد ، والله الذي يصلح البشر ويصلحكم ، يحفظكم منه .

ركض العابثون الثلاثة في الحال صوب شجرة البلوط ، وهناك وجدوا كومة من الذهب ، وعندها نسوا بحثهم عن الموت ، فقد غمرهم الفرح لرؤيتهم الذهب ، وجلسوا حوله يتباحثون في أمر نقله وقسمته ، فقال اخبثهم :

- أيها الأخوان ، لقد انعم الحظ علينا بهذا الكنز لنعيش سعداء فرحين ، وسوف نتصرف به وفقاً لرغباتنا ، فهذا اليوم هو يوم سعدنا جميعاً . إلاّ إننا بحاجة إلى أحد ينقل هذا الذهب إلى بيتي أو إلى بيت احدكم ، فهو لنا جميعاً . ومن المؤكد أننا لا نستطيع أن نعمل هذا في وضح النهار ، إذ سيتهمنا الناس بالسرقة ونعلق . سننقل هذا الذهب إلى بيوتنا في الليل سراً . وإني اقترح عليكم أن نقترع ، لكي نرى من منا سيذهب إلى المدينة لكي يجلب لنا طعاماً وخبزاً ، وحينها يبقى الاثنان في حراسة الكنز ومتى يحين الليل نستطيع أن ننقله سراً إلى بيوتنا .

اتفق الثلاثة على تنفيذ الاقتراح السابق ، ووافقوا على الاقتراع ، فعمد كل واحد منهم إلى التقاط شيء من الأرض يقترع عليه[17] ، ووقعت القرعة على أصغرهم سناً ، فركض في الحال إلى المدينة . وفي اللحظة التي غادر فيها الصغير إلى

---

(١٧) - ان الاقتراع بالطريقة التي اشار اليها جوسر هو اقتراع معمول به في مناطق شعبية من قطرنا ومن اقطار الوطن العربي الأخرى ، ويقال له الاقتراع بالعود ، وذلك بأن يجمع المقترعون أعواداً أو اشياء اخرى من الأرض ويقترعون بواسطتها على الأشياء التي يراد اقتسامها . وهناك مثل في موريتانيا يقول : البكاه عود لاسكت ، ويضرب لمن يندب سوء حظه من اجل امور تافهة .

انظر : « امثال من موريتانيا » لعبد الباري عبد الرزاق النجم ، مجلة التراث الشعبي ، العدد ١٠ ، السنة ٨ ، ١٩٧٧ ، ١٥٢ .

المدينة ، تواجه الاثنان الباقيان فقال احدهما للآخر :

ـ أنت لا شك تثق بي كأخ لك ، وسأخبرك أين تكمن منفعتك . هذه كومة الذهب التي ستقسم بيننا نحن الثلاثة ، ولكن ، إن هي قسمت بيننا نحن الاثنان فقط ، فسوف يكون نصيب كل منّا اكبر ، نحن اثنان ، والاثنان اقوىٰ من واحد ، وحين يأتي صاحبنا ، هاجمه انت ، وسوف اغمد أنا خنجري بقلبه ، وسيبقى المال كله لنا .

اتفق الاثنان على قتل صاحبهما ، إلاّ إن هذا الشريك بدوره فكر وهو في طريقه إلى المدينة أن يأخذ الذهب وحده ويحظى بالسعادة الكاملة ، ورأىٰ إن خير وسيلة لذلك هي أن يدس السم في ما يجلبه لصاحبيه من شراب وطعام . ولا شك في أن الشيطان يزرع مثل هذه الخطط في رؤوس الناس . وهكذا وصل الشريك الأصغر إلى المدينة واشترى حاجاته ، ثم ذهب إلى حانوت لبيع العقاقير وسأله أن يبيعه شيئاً من السم لقتل الفئران والحشرات التي تعبث فساداً بمنزله ، فقال له الكيمياوي :

ـ لدي مستحضر قوي سريع المفعولْ لا يمهل الذي يتناوله لحظة واحدة .

اخذ الشرير علبة السم ، واستعار من بعض الناس ثلاث زجاجات كبيرة فارغة ، وضع السم في اثنين منها وترك الثالثة نظيفة . ثم ملأ الزجاجات خمراً وعاد مسرعاً إلى حيث ينتظره صاحباه . لا حاجة للكلام والايضاح ، لقد خطط لموتهما كما خططا لموته . وما أن شاهداه قادماً حتى انقضا عليه فقتلاه ، ثم عادا لكي يستمتعا بالطعام والشراب والذهب . فأكلا وشربا ، وما هي إلاّ لحظات حتى بدت عليهما اعراض السم ، وهي اعراض عجيبة لم يرد وصفها حتى في فن السموم من قانون ابن سينا . لقد ماتوا فبقي الذهب .

وهكذا كانت أيها الأعزاء ، عاقبة الطمع ، وقاكم الله شرّ هذه الرذيلة وغفر ذنوبكم .

انتهت حكاية جوسر

حكاية الطامعين الثلاثة في كتاب الدميري(18)

قال ابن سيده ، وروى جرير عن ليث ، قال :

صحب رجل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، فقال : أكون معك يا نبي الله واصحبك . فانطلقا حتى أتيا إلى نهر ، فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة ، فاكلا رغيفين وبقي رغيف ، فقام عيسى عليه السلام إلى النهر ، فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف . فقال للرجل : من أخذ الرغيف ؟ فقال : لا أدري . فانطلق ومعه صاحبه ، فرأي ظبية ومعها خشفان لها ، فدعا احدهما فذبح الخشف وشوى من لحمه وأكل هو والرجل ، ثم قال للخشف : قم باذن الله ، فقام وذهب . فقال للرجل الذي معه : اسألك بالذي أراك هذه الآية ، من أخذ الرغيف ؟ فقال الرجل : لا أدري . فسارا حتى انتهيا إلى نهر ، فأخذ عيسى بيد الرجل ، ومشيا على الماء ، فلما جازا ، قال عيسى : اسألك بالذي أراك هذه الآية ، من أخذ الرغيف ؟ فقال الرجل : لا أدري . فسارا حتى انتهيا إلى مغازة فجلسا . فأخذ عيسى تراباً ورملاً وقال : كن ذهباً بإذن الله ، فكان ذهباً . فقسمه عيسى ثلاثة اثلاث ، ثم قال للرجل : ثلث لي ، وثلث لك ، وثلث للذي اخذ الرغيف ، فقال الرجل : أنا اخذته . قال عيسى : كلّه لك . ثم فارقه وذهب .

ومكث الرجل عند المال في المغازة ، فانتهى إليه رجلان ، فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه ، فقال : هو بيننا أثلاثاً . ثم قال : فابعثا احدكما إلى القرية ليشتري طعاماً . فقال الذي بعث إلى القرية في نفسه : لأي شيء اقاسمهما المال ، لأجعلن لهما في الطعام سماً فاقتلهما ، ففعل . وقال صاحباه في غيبته : لأي شيء نقاسمه المال ، إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال نصفين . فلما جاء ، قاما اليه فقتلاه ، ثم أكلا الطعام فماتا ، وبقي المال في المغازة .

وكان اولئك الثلاثة قتلى حول المال ، فمر عيسى عليه الصلاة والسلام بهم وهم على تلك الحالة ، فقال لأصحابه :

هكذا الدنيا تفعل بأهلها ، فاحذروها .

---

(18) ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري ، الجزء الأول ، 292 ـ 293 .
الدميري 1340 ـ 1400 م
ابن سيدة 1007 ـ 1066 م

نقاط للمقارنة بين الحكايتين السابقتين

حكاية جوسر

- الحكاية من باب الأمثال والمواعظ .
- موضوع الحكاية : رذيلة الطمع وسوء عاقبتها .
- ابطال الحكاية ثلاثة رجال طماعون .
- يبحثون عن الموت فيجدون الذهب .
- يتفقون على ذهاب احدهم إلى المدينة لجلب الطعام والشراب .
- يضع الذاهب إلى المدينة السم في الشراب .
- يتآمر الباقيان على قتل صاحبهما .
- يموت الثلاثة ويبقى الذهب .
- الموعظة تأتي على لسان حامل صكوك الغفران وهو شخصية كنسية

الحكاية العربية

- الحكاية أيضاً من باب الأمثال والمواعظ .
- موضوع الحكاية : رذيلة الطمع وسوء عاقبتها .
- ابطال الحكاية ثلاثة رجال طماعون .
- التراب يستحيل إلى ذهب بكلمة من النبي عيسى وباذن الله .
- يتفقون على ذهاب احدهم إلى المدينة لجلب الطعام والشراب .
- يضع الذاهب إلى المدينة السم في الطعام .
- يتآمر الباقيان على قتل صاحبهما .
- يموت الثلاثة ويبقى الذهب .
- الموعظة تأتي على لسان النبي عيسى عليه السلام .

نستخلص مما ورد في الفصل السابق أن ثلاث حكايات من حكايات كانتربري للشاعر الانكليزي جوسر تتناظر مع اصول عربية . احدىٰ تلك الحكايات هي التي وردت في القسم الأول من حكاية الفارس الصغير والتي تدور حول الهدايا الثلاث التي قدمت للملك ، وهي تناظر حكاية الملك والحكماء الثلاثة الذين قدموا له هدايا مشابهة ، وتلك هي احدىٰ حكايات ألف ليلة وليلة ، إذ تدور الحكايتان حول السحر ، والهدايا التي قدمت في كلتا الحكايتين لها مزايا سحرية متشابهة وهي تعكس طموح الانسان اللاواعي نحو تطوير حياته . وأما القسم الثاني من حكاية الفارس الصغير لجوسر الذي وردت به حكاية الأميرة كانيس مع انثى الطير ، فهو مشابه لما ورد في حكاية تاج الملوك والأميرة دنيا من الف ليلة وليلة ، حيث أن الحكايتين من الرومانس وتدوران حول الحب وخيانة الذكور من خلال تجربة الطيور . وفي كل من الحكايتين عنصر خارق فوق طبيعي ، يعبر عمّا حدث في دنيا الطيور ، وذلك العنصر الخارق هو الخاتم المسحور في حكاية جوسر والحلم الذي رأته الأميرة في حكاية الف ليلة . أما الحكاية الثالثة فهي حكاية حامل صكوك الغفران من حكايات كانتربري ، وتناظرها حكاية الطامعين الثلاثة في كتاب الحيوان للدميري . والحكايتان تدوران حول الطمع الذي يودي بحياة الناس ، وكلتاهما من المواعظ الدينية المسيحية .

إن هذا التشابه في الحكايات مع وجود علاقة تاريخية تفيد سبق الحكايات العربية وترجمتها إلى اللغات الأوربية ليشير بأن حكاياتنا الشعبية كانت من المكونات لخلفية حكايات كانتربري .

الفصل الثاني
التشابه في الاسلوب

الفصل الثاني
التشابه في الأسلوب

قصة الاطار Frame Story [1]

قصة الاطار هي قصة خارجية تعلو على مجموعة من القصص القصيرة وتحتويها أو تكتنفها فتوحدها وتجمعها ويبدو الكتاب من خلالها وكأنه رواية طويلة موحدة يرتبط اولها بآخرها وتتصل اجزاؤها بعضها بالآخر بدلاً من ترك الحكايات منفردة مبعثرة . وقد شاع استعمال هذا الاسلوب في جمع الحكايات القصيرة خلال العصر الوسيط ووردت به آثار أدبية عالمية مشهورة ، مما دفع المتخصصين في ادب القصة القصيرة والرواية ومراحل تطور هذا الأدب إلى بحث هذا الموضوع ودراسة الكتب التي وردت بهذا الاسلوب في الغرب والشرق . وأهم الآثار الأدبية التي وردت ضمن قصة إطار أربعة ، ثلاثة منها ظهرت في اوربا ، وواحد وهو اقدمها ، ظهر في المنطقة العربية مكتوباً باللغة العربية وهو كتاب الف ليلة وليلة . ويجد القاريء ادناه لمحة موجزة حول كل واحد من الكتب المذكورة ، مع دراسة تفصيلية مقارنة بين قصة الاطار في الف ليلة وليلة ، ونظيرتها في حكايات كانتربري لجوسر .

قصة الاطار في الكتب الأوربية

لقد وردت في اوروبا خلال العصر الوسيط ثلاث مجموعات قصصية جمعها

(١) لقد سبق أن نشر هذا الجزء من البحث في مجلة التراث الشعبي تحت عنوان : « شهريار وشهرزاد وحجاج كانتربري ». انظر : التراث الشعبي ، العدد ٨ ، السنة ١٠ ، ١٩٧٩ ، ١٣١ - ١٤١ .

اصحابها وفقاً لأسلوب قصة الاطار ، وتلك المجموعات هي التالية :

١ ـ حكماء روما السبعة .
٢ ـ الديكامرون أو الأيام العشرة .
٣ ـ حكايات كانتربري .

حكماء روما السبعة(٢)

حكماء روما السبعة وعنوانها باللغة الانكليزية هو The Seven Sages of Rome ، هي مجموعة قصص قصيرة وردت ضمن حكاية اطار واحدة وهي حكاية الأمير الذي حكم عليه بالاعدام ، فانبرىٰ كل من محاميه السبعة إلى قص قصة جديدة كل يوم لمدة سبعة أيام ، وبذلك تأجل اعدام الأمير حتىٰ ظهرت براءته . ويشير المتخصصون إلى الأصل العربي لكتاب حكماء روما السبعة ، وقد ظهر هذا الكتاب لأول مرة باللغة اللاتينية تحت عنوان : Historia Septem Sapientium ، وهذا بدوره كان الأصل للحكايات التي جمعت تحت عنوان : حكماء روما السبعة ، التي وردت باللغة الانكليزية . وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك سابقاً .

الديكامرون أو الأيام العشرة(٣)

الديكامرون أو الأيام العشرة The Decemeron مجموعة حكايات قصيرة وردت ضمن قصة اطار واحدة للشاعر الايطالي جيوفاني بوكاشيو (١٣١٣ ـ ١٣٧٥) . وبوكاشيو من اعظم الشخصيات البارزة في الأدب الأوربي ، وقد كانت كتاباته وكتابات معاصره الأكبر بترارك وجماعتهم هي الباعث على حركة احياء العلوم القديمة ، ومن ثم ، إلى ما عرف في اوروبا بموضوع الانسانية Humanism ، وكان هذا هو الموضوع الأساس إبان النهضة الأوروبية. وقد عرف بوكاشيو خاصة في انكلترا من خلال حكايات الديكامرون التي أخذ منها الأدباء الانكليز الشيء الكثير . ومن اشهر الأدباء والشعراء الذين استعاروا عناصر من

---

(٢) ـ الديكامرون أو الايام العشرة. Gibb, Op. Cit., 195.
(٣) ـ Bryan, Op. Cit., 14-15.
Ency. B. mic., Vol., III, 421.

اعمال هذا الشاعر وأدخلوها ضمن مؤلفاتهم : جوسر ، وليم بينتر ، شكسبير ، درايدن كيتس وغيرهم .

يعود تأليف الديكامرون إلى القرن الرابع عشر للميلاد (١٣٤٨ - ١٣٥٣) . والديكامرون ، أو انجاز الأيام العشرة مجموعة من القصص القصيرة وعددها مائة قصة جمعها مؤلفها وفقاً للأسلوب الفني المعروف بقصة الاطار ، إذ لجأ الشاعر الايطالي إلى حكاية الجماعة الهاربين من الطاعون الذين رووا تلك الحكايات تباعاً . فقد افتتح بوكاشيو كتابه باسلوب جدي معتم كئيب يصف به الطاعون الذي ضرب فلورنسا عام ١٣٤٨ ، وما رافق ذلك الوباء من فوضى اخلاقية واجتماعية . وانتقل بوكاشيو بعد ذلك إلى الحديث عن لقاء تمّ بين سبع فتيات وثلاثة شبان في احدى الكنائس بعد أداء فروض الصلاة . واتفاق المجموعة المكوّنة من عشرة اشخاص على مغادرة فلورنسا والفرار إلى ركن هادىء بعيد عن شرور الطاعون والظروف السيئة التي خلقها تفشي هذا الداء الوبيل . . وتعد المجموعة عدة السفر وترحل ، فتصل بعد مسيرة ميلين إلى قصر ريفي تحيط به البساتين الوارفة الجميلة التي تتخللها سواقي المياه . وتقرر المجموعة الشابة أن تمضي في هذا المكان الهادىء البعيد مدة اسبوعين . وبعد أن يستقر بها المقام ، نبدأ في مناقشة الكيفية التي سوف تقضي بها اوقاتها خلال عزلتها . فتتوصل إلى اتفاق يقضي بتنصيب احد أفراد المجموعة ملكاً ، أو ملكة ، في كل يوم ، يشرف على امور الجماعة ويدير احاديثهم وينظم تحركاتهم . واهم من هذا كله ، أن الملك المتوج باكليل من الزهور ، يطلب من كل فرد من أفراد المجموعة على التعاقب ، أن يقص عليهم حكاية . وتنفذ الجماعة هذا القرار ، ويبدأ افرادها بقص الحكايات ويستغرق ذلك عشرة أيام تتلى خلالها مائة حكاية . وتخصص الأيام الأربعة الباقية من الأسبوعين لنشاطات أفراد المجموعة الشخصية . وتصل بين الحكايات تعليقات وآراء مختلفة ، وينتهي كل يوم من الأيام بأغنية يغنيها احد رواة الحكايات ويرقص عليها الباقون ، ويختتم الكتاب باختتام الحكايات وانتهاء الرحلة .

ومن الملاحظ هنا أن حكايات الديكامرون لم يروها كلها شخص واحد كما هو الحال في حكايات الف ليلة وليلة التي روتها شهرزاد وحدها كما هو معلوم . فقد تعاقب على رواية حكايات بوكاشيو عشرة اشخاص بالتناوب كما ذكرنا . كما أن القطع والتعليقات التي تسبق الحكايات وتصل الواحدة

منها بالأخرى غنية بمادتها ، وتضيف إلى المجموعة معنى وأدباً وفناً ، الأمر الذي جعل الديكامرون نموذجاً للنثر الفني الايطالي على مدى القرون التي تلت ظهوره ، كما جعلت ذلك الكتاب يؤثر تأثيراً كبيراً في الآداب الأوربية طوال القرون التي تلت ظهوره .

قصة الاطار في حكايات كانتربري Canterbury Tales

لقد سبق أن تحدثنا عن الشاعر الانكليزي جوسر مؤلف حكايات كانتربري ، واعطينا لمحة موجزة عن تلك الحكايات . وقد ذكرنا أن جوسر اعتمد في مؤلفه اسلوب حكاية الاطار الفني ، فجمع قصصه وعددها اربع وعشرون قصة ، ضمن قصة واحدة ، بدأ بها الكتاب ، كما ربط من خلالها الحكايات بعضها بالآخر وأضاف إليها مادة وحيوية ، إلاّ إنه انسحب معتذراً قبل اتمام مشروعه طالباً السماح من قرائه والمغفرة من ربه ، فجاء عدد الحكايات قليلاً بالنسبة لما كان الشاعر قد وعد به قراءه في مفتتح الكتاب .

تدور قصة الاطار في حكايات كانتربري حول عدد من الحجاج التقوا في احدى الحانات الكائنة في ضاحية من ضواحي لندن ، وهم في طريقهم لزيارة مثوى القديس توماس بكت . يقول جوسر في افتتاح الكتاب :

في شهر نيسان إذ تستحم المزارع والكروم بقطرات المطر فتفوح روائحها العطرية ، وتهب انفاس الرياح الرقيقة ، وتطل الشمس فتية عالية في برج الحمل ، وترسل الطيور مواويلها العذبة الشجية ، في ذلك الوقت ، يشتاق الناس إلى القيام برحلات الحج إلى قبور الشهداء والقديسين في الأماكن النائية ، ويذهب الكثير منهم إلى كانتربرى لزيارة مثوى الشهيد توماس بكت[٤] ينشدون بركاته في تحقيق ما

---

(٤) ـ توماس بكت رئيس اساقفة كانتربري ، اختلف مع الملك هنري ملك انكلترا ، فقتل في الكاتدرائية سنة ١١٧٠ للميلاد واصبح مثواه مزاراً فيما بعد ، إذ اسندت اليه أول معجزة بعد موته بسنتين فقط ، وذكر أنه يظهر للناس في الأحلام ، يشفي المرضى وحتى يقيم الأموات . وقيل أن الماء الذي يؤخذ من البئر الكائن في قبو الكاتدرائية ، كان قد تلوث بدمائه ، فهو كما يعتقد ، يشفي المرضى ، ويعتقد بعضهم أن رئيس الأساقفة كان يستطيع أن يضرب الأرض فينبجس ينبوع . وورد في احدى السير الايسلندية أن الفرسان لم يكونوا قادرين على جره خارج الكاتدرائية وذلك لأن الرخام كان قد غدا املس كالثلج وإن اقدامه ساخت في ذلك الرخام وإنه ما زال بالامكان مشاهدة ذلك في كانتربري .

انظر : الفولكلور والميثولوجيا ، ترجمة ناجية المراني ، التراث الشعبي . العدد ٧ ، السنة ٨ ، ١٩٧٧ ، ٢١ .

يطلبون . لقد اتفق في هذا الفصل بالذات وفي احدى حانات سوثورك [٥] إن اجتمع تسع وعشرون حاجاً ، وكنت أنا ايضاً هناك ، ووجدنا غرف الحانة واسطبلاتها واسعة ، فشعرنا بالراحة بعد عناء السفر . وحين جنحت الشمس للمغيب ، انتظم شملنا وتبادلنا الأحاديث ، ثم وعدتهم أن استيقظ مبكراً فاوقظهم في فجر الغد ، لكي نأخذ طريقنا إلى قبر القديس . ولكني اود قبل مواصلة حكايتي ، أن أقف وقفة قصيرة لكي اصف لكم احوال الحجيج واحداً واحداً ، وسأبدأ حديثي عن الفارس .

ويبدأ جوسر بوصف جماعة الحجاج الواحد تلو الآخر وصفاً لبقاً ذكياً ، فتعرف أن بينهم الفارس والطحان والنجار والطباخ والكاتب والمحامي والبحار والراهبة والراهب والقسيس والطبيب والسيد توباز الذي هو الشاعر ذاته ، وامرأة من مدينة بات ، ومنادي المحكمة وغيرهم من الأفراد الذين يمثلون مختلف قطاعات الشعب الانكليزي الدينية والمدنية . ويستطيع القاريء أن يتعرف من خلال وصف جوسر الدقيق لهؤلاء الأفراد على الطابع الذي يميز الفئة التي ينتمي اليها كل فرد من أفراد الحجيج ، ويحكم بنفسه على الآراء التي صدرت عنه سواءً ما تعكسه الحكاية نفسها أو الوصلات والمقدمات التي تربط بين الحكايات . وبعد الانتهاء من هذا الوصف الشيق المفصل ، يقول جوسر مستطرداً :

وبعد أن حدثتكم عن هيئة الحجاج الذين نزلوا في هذه الحانة ، أود أن اخبركم كيف صرفنا أمسيتنا ، وما الذي جرىٰ في رحلتنا ، وسوف انقل اليكم الحديث بأمانة حتى ولو حوى ما لا يليق ذكره ، وذلك لأن مبلغ الخبر لا بدّ له من أن يخبر اليقين بقدر ما تسعفه به الذاكرة .

حيانا المضيف ، صاحب الحانة ، تحية كريمة ، وسقانا خير ما لديه من شراب ، وقدم لنا أفضل ما لديه من طعام ، وصار يمازحنا ويضحك معنا ، ثم قال :

ـ أيها الضيوف الكرام ، لا اكذبكم القول أن اخبرتكم انكم خير مجموعة نزلت في

---

(٥) ـ سوثورك احدىٰ ضواحي لندن ، تبعد ١١٢ كيلومتراً عن كانتربري مقر الكاتدرائية ومرقد القديس بكت .

حانتي ، فاسمحوا لي أن اتقدم اليكم بعرض لا يكلفكم شيئاً . ها أنتم في طريقكم إلى كانتربري لكي تؤدوا زيارتكم المباركة إلى مثوىٰ القديس توماس بكت ، عساه يستجيب لدعواتكم . انكم بلا ريب تميلون إلى قضاء وقت رحلتكم بالأحاديث الشهية والمرح ، فانها تستغرق وقتاً طويلاً ، وسيشعر الواحد منكم بالملل أن هو قطعها صامتاً في عزلة ، اخرس كالصخرة . ولديّ عرض اعرضه عليكم ، إن وافقتم واسلمتم امركم اليّ خلال السفرة وقام كل واحد منكم بالدور الذي اعهده اليه ، فسوف اقدم لكم ما يرضيكم ، وإن لم يعجبكم العرض ، فانا اقسم لكم بروح والدي ، بانني سأضع رأسي امامكم . فماذا تقولون ؟

ويخبرنا جوسر بانهم ، هو والجماعة الباقون ، وافقوا على اقتراح المضيف ، ووعدوا باطاعة اوامره . وهنا يستطرد المضيف قائلاً :

- لا تستهينوا بافكاري ، وسوف اقولها صريحة مختصرة ، اطلب أن يساهم كل واحد منكم بجعل امور الرحلة تسير سيراً هنيئاً مريحاً ، وذلك بأن يروي حكايتين على طريق ذهابنا إلى كانتربري ، وحكايتين اخريين على طريق عودتنا منها ، ومن كانت حكايته هي الأفضل ، بأن تقدم لنا مثلاً عن الأخلاق العالية ، وتوفر لنا البهجة والسرور ، فسوف اقدم له طعاماً مجانياً هنا في هذه الحانة ، وفي هذه الصالة بالذات ، بعد عودتنا من الحج . ولكي تطيب سفرتكم وترتاح نفوسكم فاني سارافقكم بنفسي ، وسأكون مرشدكم والحكم الذي يحكم مباراتكم القصصية . وان الشخص الذي لا يطيع الأوامر فسوف يتحمل هو نفقات السفر . هذه شروطي فان وافقتم عليها فاعلنوا موافقتكم دون تردد .

ويخبرنا جوسر بأن جماعة الحجاج وافقوا كلهم على عرض المضيف وبكل سرور ، ورضوا به مرشداً وقاضياً وحكماً . وغندئذٍ عمت البهجة الجميع ، واديرت كؤوس الشراب وانتهت الأمسية وذهب الجميع إلى المنام . وهكذا يمضي الشاعر جوسر بنقل ما جرىٰ بعد ذلك فيقول :

في الصباح الباكر ، وفي يوم ربيعي جميل ، استيقظ مضيفنا وايقظنا كما يفعل الديك ، ونظمنا مجموعات ، فركبنا خيولنا نحث المسير إلى مكان الماء على طريق المزار لكي نسقي الخيول . وحينها قال المضيف :

أرجو أن تصغوا اليّ سادتي ، فقد وعدتم بالطاعة ، دعونا نعني الآن من الذي سيكون البادىء برواية اول حكاية ، وسوف نتعلل بالشراب ونبتهج ، والذي يعصي الأوامر يدفع النفقات . اقتربوا لكي نقترع ، تقدم ايها الفارس ، وأنت ايتها الأخت الراهبة ، وانت ايها الكاتب ، الق عنك رداء الخجل والانقباض فالوقت ليس بوقت كتابة او قراءة ، ضعوا ايديكم .

ويخبرنا جوسر بأن الاقتراع قد جرىٰ ، ولا يدرىٰ أحظ هو أم مصادفة ام شيء آخر ، فقد وقعت القرعة على الفارس ، وهتف الجميع معلنين الموافقة ، فقد كانوا قد وعدوا بالطاعة والامتثال . ويقول الفارس :

- لقد ترتب الأمر ، وعليّ أن ابدأ هذه المباراة ، وها أنذا أحزم أمري وابدأ حكايتي باسم الله الكريم .

ويسرد الفارس حكاية طويلة تدور حول الحب والبطولة والفداء ، وما هو معروف من دنيا الفروسية في مثل عليا . وحين تنتهي حكاية الفارس ، تبدأ الوصلة الأولىٰ بينها وبين الحكاية التي تليها وذلك ضمن تحركات ابطال قصة الاطار . يقول جوسر :

- ما أن انتهى الفارس من حكايته حتى أبدىٰ الجميع سرورهم واعجابهم بما سمعوه ، ولاسيما مضيفنا الذي ضحك مازحاً ومعلناً أن افتتاح اللعبة كان ناجحاً.وتوجه المضيف إلى السيد الراهب طالباً منه أن يكون الثاني بين الرواة وأن يأتي بما يصلح لمناظرة ما أتى به الفارس . إلاّ إن الطحان الذي بدا مخموراً شاحب الوجه متأرجحاً على حصانه ، صرخ دون أن يعير اهتماماً لأصول اللياقة والأدب ، وردد أغلظ الايمان وقال :

- لقد خطرت لي حكاية نبيلة وسوف اناظر بها حكاية الفارس .

ويخبرنا جوسر بأن مضيفهم أدرك أن الطحان سكران ، فقال له :

- أمسك ايها الأخ روبين ، لدينا رجل آخر الآن ، وعليك أن تنتظر قليلاً حتى يحين دورك ، وعلينا جميعنا أن نتحلى بالصبر وحسن الادراك .

إلاّ أن الطحان أصر على الحديث قائلاً :

ـ كلا بحق الرب ، لا اريد الانتظار ، وسأكون أنا المتحدث الآن مهما كلف الأمر .

فقال المضيف :

ـ هيا ، ابدأ حكايتك ، فما انت إلاّ مجنون قد غلب السكر على عقله .

فقال الطحان :

ـ أنا اعترف اولاً بأني سكران ، وبعد ذلك أقول ما عندي ، وان وجدتم في حديثي خلطاً أو هذراً فان الذنب ليس بذنبي ، وانما هو ذنب الشراب . اسمعوا سأروي لكم اسطورة عن حياة أحد النجارين وزوجته ، وكيف جاء احد الطلاب فانتزع منه قبعته . . .

وهنا يخبرنا جوسر بأن الموظف ، وهو أحد الحجاج وكان بالأصل نجاراً ، يثور حين سماعه مقدمة الطحان حول خيانة زوجة النجار ، فيصرخ زاجراً اياه وقائلاً :

ـ دع هراءك هذا ايها السكير ، فمن المخجل أن تنال من اعراض الناس أو تتحدث بما لا يليق عن الزوجات . هات حكاية اخرىٰ غير التي ذكرت ، وتحدث في موضوع ثانٍ .

إلاّ إن الطحان لم يتنازل عن موقفه ، كما يخبرنا جوسر ، وإنما بدأ حكايته في الحال . وهكذا تبدأ الحكاية الثانية من حكايات كانتربري وتدور حول غفلة النجار الذي تخونه امرأته من حيث لا يدري . وحين ينتهي الطحان من سرد حكايته ، يضحك الجميع ، كما يقول جوسر . ولكن الموظف الذي كان بالأصل نجاراً ، يبدو غاضباً ويقول أنه يود لو كان بمقدوره أن يرد الصاع صاعين للطحان إلاّ إن كبر سنه يحول دون ذلك . ويبدأ بمحاضرة طويلة حول كبر السن وآثاره السيئة على الانسان . ويقاطعه المضيف لاعناً الشيطان الذي جعل من هذا الموظف واعظاً . ثم يطلب منه أن يكف عن الوعظ ويبدأ حكايته في الحال . وتبدأ حكاية الموظف .

ويستمر سرد الحكايات مع مقدمات ووصلات تحس من خلالها بأن كل فرد من افراد الحجيج ، بما في ذلك الشاعر المؤلف ، كلهم موجودون مستعدون فعالون ، يصغون إلى الحكاية بانتباه ، وربما يقاطعون راوي الحكاية في نقطة من نقاطها تثير اعجابهم أو انزعاجهم ، وبعد الانتهاء من سرد الحكاية ، يعلنون السرور والاعجاب ، ويحدث أن تسيء الحكاية إلى احدهم كما رأينا في الوصلة

السابقة ، فيجادل الخصم وقد يتراشقان ويتبادلان التهم ويوشك أن يندلع خصام يسيء إلى نظام الرحلة ويفسد اللعبة ، ولكن المضيف بحكمته ، وبما يمتلك من حق السيطرة والحكم والعقاب والتواب ، يفض المنازعات بالتي هي احسن ، وكثيراً ما يعلق هو أو يعقب أو يعترف بهمومه الشخصية ، والمؤلف الشاعر جوسر وراء ذلك كله ، يرمي بعبارات الاعجاب أو التهكم أو النقد بصورة عفوية ، فهو يدري وكأنه لا يدري ، وهكذا حتى نهاية الكتاب ، حيث يبدي اسفه واعتذاره مكتفياً بهذا القليل الذي قدمه للقراء ، وطالباً منهم المغفرة أن ورد في كتابه ما لا يسرهم ، ومتوجهاً إلى السماء يبتغي الرحمة والبركة . ومما يجدر بالاشارة هنا أن هذا الذي اعتبره جوسر قليلاً ، كان بنظر الأدباء والنقاد فيما بعد ، اعظم اعمال جوسر كلها ، وقد قال عنه درايدن أبو النقد الانكليزي : هنا اعطى الله واوفى[٦] .

قصة الاطار في كتاب الف ليلة وليلة[٧].

نبذة عن الكتاب

يعود البدء بتأليف كتاب الف ليلة وليلة إلى القرن التاسع للميلاد ، حيث عثرت الباحثة العربية نبيهة عبود على قطعة من هذا الكتاب بين اوراق البردى العربية التي يقتنيها المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو سنة ١٩٤٧ ، وهذه القطعة من كتاب الف ليلة وليلة ترقى إلى المائة التاسعة للميلاد . واقدم اشارة لهذا الكتاب وردت في كتاب مروج الذهب للمسعودي (ت ٩٥٦ م) ، كما وردت اشارة اليه في فهرست ابن النديم (ت ١٠٠٠ م) . والكتاب كما هو معلوم يضم حكايات رومانسية تدور حول الفروسية والحب وعن السحر والجن ، واساطير ومواعظ وامثال ، وحكايات هزلية واشعار . وهناك عدد من حكاياته موجود ضمن الكتابات البابلية مما يشير إلى انها بقيت متداولة في المنطقة لحين كتابة الكتاب ، وبعض

(٦) - جون درايدن ١٦٣١ - ١٧٠٠ شاعر وكاتب مسرحية وناقد انكليزي ، طغت شخصيته الأدبية على زمانه حتى عرف عهده بعهد درايدن . ويعتبره الكثيرون أباً للنقد الانكليزي .

(٧) - دائرة المعارف الاسلامية. The Ency. of Islam, 1,358-364.
Gibb, **Op. Cit.**, 180-209.
الفهرست لابن النديم ، ٤٢٢ - ٤٢٣ .
مروج الذهب للمسعودي ، ٤ : ٨٩ - ٩٠
الف ليلة وليلة لسهير قلماوي ، مطبعة المعارف بمصر .

حكاياته يعود إلى العهد العباسي، في بغداد والآخر حكايات مصرية . وهكذا يجد القاريء في الكتاب مجموعة من القصص تختلف عصورها واصولها ومواطنها ، ولا يعرف لها اسم مؤلف واحد ولا قاص واحد . ومع ما في حكايات الف ليلة وليلة من غموض وسحر ، إلاّ إنها تقف على أرض صلبة من الحقيقة ، وشخصياتها ، وإن كانت متماثلة وغير متطورة ، إلاّ إن مغامراتهم اقرب ما تكون من الحقيقة ، ونستطيع أن نلمس خلف خيال شخصياتها الجامح ورغبتهم بكل شيء غريب ، قانوناً خلقياً ، وبدون هذا القانون الخلقي لم يكونوا ليستطيعوا أن يحتلوا مكان الحب في قلوب الناس متعلميهم وبسطائهم ، شرقيين وغربيين .

لقد دخلت حكايات الف ليلة وليلة إلى اوربا خلال العصر الوسيط ، كما اشرنا إلى ذلك سابقاً . ويذكر أن بعض حكاياته عرف في ايطاليا حوالي القرن الثالث عشر للميلاد . ولكن الف ليلة وليلة وصل إلى اوربا كاملاً في القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد ونشر اكثر من ثلاثمائة مرة بلغات اوربا المختلفة . واشهر ترجمة انكليزية لهذا الكتاب هي ترجمة ريشارد بنتن ١٨١٥ ـ ١٨٨٨ ، وهي تشتمل على شروح وتعليقات .

لقد ورد كتاب الف ليلة وليلة ضمن حكاية اطار هي قصة شهرزاد وشهريار التي كانت أداة فنية يسرّت جمع الحكايات ضمن مجموعة واحدة . وسنتحدث عن هذا الموضوع أدناه .

قصة الاطار في كتاب الف ليلة وليلة

تعتبر قصة شهريار وشهرزاد التي افتتح بها كتاب الف ليلة وليلة ، من الأساليب الفنية التي شاع استعمالها في الشرق وفي اوربا خلال العصر الوسيط والتي عرفت فيما بعد بقصة الاطار ، وذلك للأسباب الآتية :

اولاً ـ وجود بداية القصة في اول الكتاب ونهايتها في آخر الكتاب ، وبذلك تكون خارج نطاق الحكايات الأخرى من جهة ، وتكون الحكايات جميعها واقعة في نطاقها من جهة اخرى .

ثانياً ـ وجود تلك الحكاية كرابطة تصل ما بين حكاية واخرى ، وذلك خلال الكتاب كلّه .

ثالثاً ـ ظهور المجموعة نتيجة لذلك وكأنها كتاب واحد اشبه ما يكون برواية طويلة واحدة .

لقد افتتح كتاب الف ليلة وليلة ، كما يعلم القاريء ، بقصة الملك الفارس شهريار الذي حكم البلاد بالعدل واحبه اهل بلاده على مدىٰ عشرين عاماً ، حتى اكتشف أن زوجه تخونه مع رجل دونه ، عبد من عبيده ، فاسودت الدنيا في عينه ، وسل سيفه وضرب الاثنين فقتلهما معاً في الفراش . واستولىٰ على نفس الملك الشك ، ولم يعد يثق بواحدة من بنات حوّاء لاسيما بعد أن رأىٰ بعينه خيانة زوجة اخيه ، وخيانة امرأة العفريت التي كان قد وضعها في علبة داخل صندوق . . وعمد شهريار نتيجة لذلك ، إلى خطة انتقامية سوداء ، وصار يتزوج كل ليلة فتاة عذراء ينال منها بغيته ثم يقتلها من ليلتها ، ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات حتى ضجت الناس وهربت ببناتها ولم يبق في تلك المدينة بنت . . وعاش الملك بين الشكوك والدماء ، حتى قيظ الله له شهرزاد بنت الوزير .

تقول الحكاية : ثم أن الملك أمر الوزير أن يأتيه ببنت على جري عادته . فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتاً ، فتوجه إلى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك . وكان الوزير له بنتان ، الكبيرة اسمها شهرزاد ، والصغيرة اسمها دنيا زاد ، وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين ، واخبار الأمم الماضين . وقيل إنها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الفانية والشعراء . فقالت لأبيها :

ـ مالي اراك متغيراً حامل الهم والأحزان ، وقد قال بعضهم في هذا المعنى شعراً :

قل لمن يحمل هماً	إن هما لا يدوم
مثل ما يغنى سرور	هكذا يغنىٰ الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام ، حكى لها ما جرىٰ له من الأول إلى الآخر مع الملك . فقالت له :

ـ بالله يا ابتي ، زوجني هذا الملك ، فاما أن اعيش ، واما أن اكون فداء لبنات المسلمين وسبباً لخلاصهم من بين يديه .

فقال لها ابوها : بالله لا تخاطري بنفسك ابداً .

فقالت : لا بدّ من ذلك .

فجهزها ابوها وطلع إلى الملك شهريار ، وكانت قد اوصت اختها الصغيرة وقالت لها :

ـ إذا توجهت إلى الملك ارسل في طلبك ، فاذا جئت عندي ورأيت الملك قضى مأربه مني فقولي : يا اختي حدثيني حديثاً غريباً نقطع به السهر . وأنا احدثك حديثاً يكون فيه الخلاص إن شاء الله .

ثم أن أباها الوزير طلع بها إلى الملك . فلما رآه فرح وقال : اتيت بحاجتي . فقال الوزير : نعم . فلما اراد أن يدخل عليها بكت . فقال لها : ما لك ؟ فقالت : أيها الملك أن لي اختاً صغيرة اريد أن اودعها . فارسل الملك اليها فجاءت إلى اختها وعانقتها وجلست تحت السرير . وبعد أن قضى الملك مأربه من شهرزاد ، جلسوا يتحدثون ، فقالت لها اختها الصغيرة :

ـ بالله عليك يا اختي حدثينا حديثاً نقطع به سهر ليلتنا .

فقالت شهرزاد :

ـ حباً وكرامة ، إن اذن لي هذا الملك المهذب .

فلما سمع الملك ذلك الكلام ، وكان به قلق ، فرح بسماع الحديث . فقالت شهرزاد :

ـ بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار . . . .

واستمرت شهرزاد برواية حكايتها حتى انتهت الليلة الأولى والحكاية ما زالت معلقة حيث ادركها الصباح فسكتت عن الكلام المباح ، كما يقول الكتاب .

فقالت لها اختها :

ـ ما أطيب حديثك والطفه والذه واعذبه .

فقالت شهرزاد :

ـ واني هذا مما احدثكم به الليلة القابلة إن عشت وابقاني الملك .

فقال الملك في نفسه : والله ما اقتلها حتى اسمع بقية جديثها . ثم انهم باتوا تلك الليلة إلى الصباح متعانقين . فخرج الملك إلى محل حكمه ، وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه . ثم حكم الملك وولى وعزل إلى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشيء من ذلك . فتعجب الوزير غاية العجب ، ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره ، وكانت الليلة الثانية .

ويرىٰ القاريء أن شهرزاد قد دخلت إلى حياة الملك القلق الذي يخفي في باطنه جرحاً عميقاً سببته خيانة زوجته . ودخلت مع شهرزاد اختها دنيازاد ، فتعاونت الاختان على شفاء الملك من عقدته ، وتعاونتا على تحريك الكتاب وربط اجزائه بعضها بالآخرٰ . فالاخت الصغيرة لم تنصرف بعد وداع اختها كما ادعت تلك الأخت ، وإنما بقيت معهم لكي تساعد على دفع الموضوع والطلب إلى اختها بأن تقص قصة اخرىٰ كلما فرغت من حديثها . وهكذا نجد الكاتب في قصة الاطار ، يرسم صورة الأمل داخل غرفة النوم متمثلاً بمحاولات الأختين لتبديل مزاج الملك ودفع غائلة الموت ، كما يصور الكاتب صورة الموت خارج الغرفة متمثلاً بالأب الوزير الذي يحمل كفن ابنته شهرزاد تحت ابطه منتظراً جثتها على الباب بين لحظة واخرىٰ . وتستمر هاتان الصورتان تتناوبان في ذهن القاريء بين حكاية وحكاية ، وتتوالى الليالي وتتصل الحكايات ويبقىٰ القاريء ـ أو السامع ـ معلقاً بين شهريار وشهرزاد واختها دنيازاد ، ولكنه يحس أن الغيوم السود قد بدأت تتقشع عن نفس الملك وإن الجرح الذي كان في باطنه ، كما يقول الكاتب ، قد اوشك أن يندمل ، فصار يقضي لياليه في نعيم وسرور ، ثم ينزل إلى ديوانه في الصباح ، فيمارس اعماله اليومية كالمعتاد ، حتى تحين الليلة الحادية بعد الألف ، وفيها تنتهي الحكاية الختامية من حكايات الكتاب ، ولكن القاريء يبقىٰ مشدوداً ينتظر حلاً لمشكلة شهرزاد وشهريار الخاصة التي كانت قد اثيرت في اول صفحة من صفحات الكتاب . ويخبرنا الكاتب أن شهرزاد كانت قد خلفت من الملك في هذه المدة ثلاثة اولاد ذكور ، وانها لما فرغت من حكايتها الأخيرة ، قامت على قدميها ، وقبلت الأرض بين يدي الملك وقالت له :

ـ يا ملك الزمان ، هؤلاء اولادك ، وقد تمنيت عليك أن تعتقني من القتل اكراماً لهؤلاء الأطفال ، فانك ان قتلتني يصير هؤلاء الأطفال من غير أم ، ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء .

فعند ذلك بكى الملك وضم اولاده إلى صدره وقال :

ـ يا شهرزاد ، والله اني قد عفوت عنك قبل مجيء هؤلاء الأولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية ، بارك الله فيك وفي ابيك وامك واصلك وفرعك ، واشهد الله عليّ على أني عفوت عنك من كل شيء يضرك .

فقبلت يديه وقدميه ، وفرحت فرحاً زائداً وقالت له : اطال الله عمرك وزادك هيبة ووقاراً . وشاع السرور في سراية الملك حتى انتشر في المدينة . وكانت ليلة لا تعد من الأعمار ولونها ابيض من وجه النهار ، واصبح الملك مسروراً وبالخير مغموراً . فارسل إلى جميع العسكر فحضروا ، وخلع على وزيره ابي شهرزاد خلعة سنية جليلة ، وقال له :

ـ سترك الله حيث زوجتني ابنتك الكريمة التي كانت سبباً لتوبتي عن قتل بنات الناس . . .

وهكذا يرى القاريء إن حكاية شهريار وشهرزاد قد ختمت كتاب الف ليلة وليلة ، كما كانت قد افتتحته ، كما أنها وصلت بين حكاياته وكان ابطالها وهم شهريار وشهرزاد واختها دنيازاد ، حاضرين طوال قص الحكايات ، شهرزاد هي التي تروي،والملك ودنيازاد يصغيان ويطلبان المزيد ، والد شهرزاد ينتظر جثتها كل ليلة على الباب والجلاد ينتظر الأمر بالقتل حتى نهاية الكتاب وانفراج الغمة . وتعتبر هذه الحكاية من أقدم واشهر الحكايات التي اعتمدت كوسيلة فنية أو كقصة اطار لكتاب يتكون من مجموعة حكايات قصيرة .

نقاط للمقارنة بين حكاية الاطار في الف ليلة وليلة ونظيرتها في مجموعة جوسر

يتضح من الأمثلة التي قدمناها أعلاه أن هناك وجوهاً للمقارنة بين حكايتي الاطار في كل من كتاب الف ليلة وليلة وكتاب حكايات كانتربري لجوسر . وأهم تلك النقاط هي ما يلي :

أولاً ـ إن قصة الاطار وهي حكاية شهريار وشهرزاد في كتاب الف ليلة وليلة تمتاز على نظيرتها قصة حجاج كانتربري بكونها تفتتح الكتاب وتختتمه ، حيث يقع اولها في اوله ، بينما تقع نهايتها في آخر الكتاب كما رأينا . وبذلك تكون حكايات الكتاب كلها واقعة ضمنها . في حين أن قصة حجاج كانتربري التي يفتتح بها جوسر كتابه لا تختم الكتاب الذي جاء غير كامل كما ذكرنا سابقاً .

ثانياً ـ إن الأبطال في كل من قصة شهريار وشهرزاد وقصة حجاج كانتربري يشكلون رواة حكايات الكتاب كلها . ففي الف ليلة وليلة تقوم شهرزاد بمفردها برواية جميع الحكايات . فهي حافظة راوية ، ولا توجد أية رابطة بينها وبين الحكايات التي ترويها ما خلا الحفظ والالقاء . أما في كتاب جوسر فإن الحجاج يتعاقبون على رواية الحكايات . وهؤلاء الحجاج ، كما وصفهم الشاعر ، يمثلون مختلف اوساط الشعب الانكليزي الدينية والمدنية ، لذلك امتازت حكاية كل واحد منهم بكونها تنطلق من الوسط الذي يمثله راويها وكانت لتلك الحكايات علاقة برواتها .

ثالثاً ـ إن اهم الوصلات في كتاب الف ليلة وليلة هي الوصلة الأولىٰ التي تقع بين الحكايتين الأولىٰ والثانية ، وذلك لكونها ذات أثر خاص بنقل الجو النفسي الذي يلف غرفة النوم من جهة ويخيم خارجها من جهة اخرىٰ . فالملك قلق ، والاختان الحكيمتان تراوغان كسباً للوقت وتفادياً للقتل في داخل الغرفة ، والأب الوزير يحمل

كفن ابنته تحت ابطه متوقعاً خروج جثتها . ومن الملاحظ أن هذه الوصلة تبقىٰ عالقة بذهن القاريء ويبقىٰ مشدوداً إلى ابطال القصة التي تربطهم علاقة موت أو حياة ، حتى نهاية الكتاب . أما بقية الوصلات التي تربط بين الحكايات فان كلها آلية لا تضيف إلى الكتاب معنى أو فناً أو ادباً ، ولا تتعدىٰ غرض الربط المفتعل بقول الكاتب : وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح ، وذلك في آخر الليلة ، ثم افتتاح الحكاية التالية بقول شهرزاد نفسها : بلغني أيها الملك السعيد أن . . .

أما في حكايات كانتربري ، فإن للوصلات في حدّ ذاتها قيمة ادبية وفنية تضيف إلى الكتاب معنى وحيوية ، فهناك مقدمات للحكايات ، وهناك تعليق وتعقيب واعتراض ونقاش وعراك واعتراف وطرف وامثال واشارات تهكمية ولقطات تمثيلية ، وهي واردة على السنة مختلف افراد المجموعة وكلها تجعل القاريء يحس جو المسرح وحركة الممثلين في عدد كبير من الوصلات . وقد قدمنا نماذج منها سابقاً . ويحتوي الكتاب على عدد كبير من امثلة تلك الوصلات .

وخلاصة القول إن الكتابين ، كتاب الف ليلة وليلة ، وكتاب حكايات كانتربري كليهما وردا باسلوب متماثل وذلك لأن حكايات كل منهما جاءت مجموعة ضمن قصة واحدة تطغىٰ عليها وتربطها وتوحدها ، وتلك هي قصة شهريار وشهرزاد في الف ليلة وليلة ، وقصة الحجاج في حكايات كانتربري ، وإن قصة الحجاج في حكايات جوسر إن هي تميزت بروعة ادائها لكون كاتبها اديباً شاعراً ، فإن قصة شهريار وشهرزاد قد تميزت بجوانبها الانسانية والاجتماعية التي جعلتها تعلو على حكايات الكتاب كلها وتبقىٰ حية في اذهان القراء . وبالاضافة إلى ذلك لشهريار وشهرزاد فضل السبق . إذ إنها كتبت قبل نظيرتها الانكليزية بما يزيد على اربعة قرون .

الفصل الثالث

مفردات عربية في حكايات كانتربري

مفردات عربية في حكايات كانتربري

يتضح عند دراسة حكايات كانتربري دراسة مقارنة إن تلك الحكايات تحتوي على عدد ليس بالقليل من المفردات والمراجع والاعلام العربية التي وظفها جوسر في اماكن هامة من حكاياته لكي يزود حكاياته تلك بروح العصر ، وهي الروح العربية التي كانت طاغية على اوربا آنذاك ، حيث يخبرنا المتخصصون أن الكتب العلمية والطبية والفلسفية التي كان الأوربيون يتداولونها خلال العصر الوسيط ويدرسونها في مدارسهم وجامعاتهم كانت على نوعين ، النوع الأول هي كتب عربية أصيلة ترجمت إلى اللاتينية أو إلى اللغات الغربية الأخرى ، والنوع الآخر كتب اغريقية الأصل قام بترجمتها إلى العربية مفكرون ومترجمون عرب واضافوا اليها هوامش وتعليقات وآراء من عندهم ، ثم نقلت عن العربية إلى اللاتينية وإلى اللغات الأوربية الأخرى . إن تلك المصادر العربية المكتوبة ، بالاضافة إلى ما وصل إلى اوربا عن طريق السماع ، كانت احدى المكونات المهمة لخلفية حكايات كانتربري ، إذ إن القارىء يجد في تلك الحكايات اعلاماً عربية منها : محمد والقرآن ، ابن سينا وكتاب القانون ، الحسن بن الهيثم مع اشارة إلى علم الفيزياء ، ابن رشد ، الرازي وعلي بن العباس . ويجد اسماء مواقع ومدن عربية وذلك في معرض الحديث عن جهاد وبسالة ابطال حكاياته أو في امثلة واحداث اخرى تتخلل الحكايات . فهو يشير مثلاً إلى غرناطة ، الجزيرة ، تلمسان ، سبتة ، جبل طارق ، الاسكندرية ، سوريا ، دمشق ، البلاد العربية ، وغير ذلك . ويتمثل جوسر بمفردات علمية من أصل عربي أو دخلت إلى اوربا عن طريق اللغة العربية ، كما يستعمل مفردات موسيقية عربية . ويجد القاريء أدناه الاعلام والمفردات العربية الأخرى التي وردت في حكايات كانتربري ، مع الاشارة إلى تاريخها وكيفية دخولها إلى اوربا متى ما أمكن ذلك . وتلك المفردات مرتبة حسب وقوعها في الحكايات ومكتوبة باللغة التي وردت بها مؤلفات جوسر وهي انكليزية العصر الوسيط ، وبالانكليزية الحديثة[1]

---

(١) ـ المعلومات الواردة حول المفردات والاعلام وكذلك الأشعار تستند على المصادر الآتية ، والأرقام هي ارقام الأبيات الشعرية .

Baugh, **Op. Cit.**, 237-525.

The **Ency. Britannica** 1977.

١ ـ في المقدمة العامة The General Prologue

لقد تحدث جوس ، كما قلنا سابقاً ، عن شخصية كل واحد من الحجاج حديثاً مستفيضاً دقيقاً وذلك في المقدمة العامة لحكايات كانتربري . وفي معرض حديثه عن الفارس ، تطرق جوسر إلى ذكر المواقع التي شارك فيها وابلىٰ بلاء حسناً ، واهم تلك المعارك هي الحروب التي خاضها ذلك الفارس ضدّ الجيوش العربية والتي تثبت ، كما يقول جوسر ، بسالة هذا الفارس وشرفه في الجهاد من أجل الوطن والدين يقول جوسر :

And evere honoured For his worthynesse. At Alisaundre he was whan it was womne. Ful ofte tyme he hadde the bord bigonne Aboven alle nacions in Pruce;

In Lettow hadde he reysed and in Ruce,
No Cristen man so ofte of his degree.
In Gernade at the seege eek hadde he be of **Algezir**, and riden in Belmarye. 50-3
At mortal batailles hadde he been Fiftene,
And foughten for oure feith at **Tramyssene**
In lystes thries, and ay Slayn his Foo.

الاسكندرية Alisaundre-Alexandria
الاسكندرية الميناء المصري المعروف

غرناطة Gernade-Granada .
غرناطة وهي آخر معاقل العرب في الأندلس استرجعها الأوروبيون عام **١٤٩٢** للميلاد .

الجزيرة Algezir-Algeciras
الجزيرة الخضراء في الاندلس وقد استعادها الأوروبيون من العرب عام **١٣٤٤** للميلاد

تلمسان Tramyssen-Tlemcen

تلمسان مدينة بالجزائر شمالي افريقيا .

وقد تحدث جوسر في المقدمة العامة عن شخصية الطبيب ولكي يثبت أن هذا الطبيب متمكن من مادته ومطلع على أشهر المصادر العالمية في حقل الطب ، أشار جوسر إلى الاعلام والمؤلفات العربية جنباً إلى جنب مع الاغريقية واللاتينية . واليك الأبيات التي وردت بها المفردات العربية :

And Deyscorides, and eek Rufus,
Old Ypocras, **Haly**, and Galyen, 433-435
Serapion, **Razis**, and **Avycen**,
Averrois, Damacien, and Constantyn,
Bernard, and Gatesden, and Gilbertyn.

علي بن العباس Haly-Ali, ben el-Abbas

علي بن العباس طبيب عربي من القرن العاشر للميلاد .

الرازي Razis- Razi-ar-

أبو بكر الرازي (٨٦٥ - ٩٢٣ م) طبيب عربي ، له مؤلفات عديدة في حقل الطب ، اشهرها كتاب المنصوري الذي عرف في كل اوربا من خلال ترجمته إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر للميلاد ، وكتاب الحاوي في الطب . وكذلك رسالته عن الجدري والحصبة ، وقد ترجمت إلى اللاتينية وإلى سائر اللغات الأوربية .

ابن سينا Avycen-Avicenna

ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) هو الفيلسوف والعالم والطبيب المعروف . وأهم مؤلفاته كتاب الشفاء الذي يعتبر دائرة معارف علمية فلسفية . وقد ترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر للميلاد . وكتاب القانون في الطب الذي ظهر في اوربا في القرن الثاني عشر للميلاد أيضاً ، وغدا المرجع الأول للعلوم الطبية على مدى قرون . وكان لابن سينا مركز مرموق في الطب يعادل مركز ابقراط وجالينوس مما جعل جوسر يذكره مع هذين الطبيبين والأطباء الأوربيين الآخرين كما هو واضح في الأبيات المذكورة اعلاه .

ابن رشد Averrois-Averroes

ابن رشد الأندلسي (١١٢٦ - ١١٩٨ م) من اعظم مفكري العرب في القرن

الثاني عشر للميلاد . وأول كتاب له كان في الطب ، كليات . واشتهر ابن رشد بكتاباته الفلسفية الدينية التي كان لها اعظم الأثر على الفكر الأوربي حتى نشأت عن ذلك المدرسة الفلسفية التي عرفت بالرشدية اللاتينية : Latin Averroism ، تلك المدرسة التي كتب وفقاً لتعاليمها عدد كبير من فلاسفة اوروبا ومفكريها خلال العصر الوسيط وامتداداً إلى عصر النهضة .

٢ ـ في حكاية الطحان The Miller's Tale

وردت في حكاية الطحان مفردات مأخوذة عن العربية وذلك في معرض الحديث عن طالب العلم في اكسفورد الذي جلب معه إلى غرفته مستلزمات الدراسة والبحث . ومن امثلة ذلك ما ورد في الأبيات الآتية :

His Almageste, and bookes grete and smale,
His astrelabie, Longynge for his art,
His **augrym stonenes** Layen Faire a part, 3208-3210

المجسطي Almageste-Almagest

المجسطي هو كتاب في الفلك والرياضيات ، الفه بطليموس عام ١٤٠ للميلاد ، وترجم إلى اللغة العربية إبان العصر العباسي في بغداد ، ثم نقل عن العربية إلى اللاتينية في اواخر القرن الثاني عشر للميلاد ، ولذلك ورد اسم الكتاب على لفظه في اللغة العربية حاملاً أل التعريف وكان اسمه الأصلي magistos أي الكتاب المجيد أو العظيم .

الحصبي الخوارزمي Augrym Stone

الحصى الخوارزمي أو الاحصاء والعد ، وتطلق الكلمتان على مجموعة حصيات صغيرة تستعمل لحل المسائل الحسابية آنذاك . وكلمة Augrym التي استعملها جوسر مأخوذة عن الفرنسية القديمة algorism ، وتلك الكلمة بدورها مأخوذة عن اسم الخوارزمي (ت ٨٤٩ م) وهو العالم الرياضي المشهور صاحب الجبر والمقابلة ، وما زال اسمه يطلق في اوربا على المسائل الجبرية الخوارزمية : لوغارتم .

وقد وردت في نفس الحكاية كلمة اخرى كانت قد دخلت إلى اوربا عن

طريق اللهجات العربية القديمة (الساميات) وتلك الكلمة هي Cynamome-Cinnamom ، أي السنا أو السنون وهو من الأعشاب التي يتداوىٰ بها . وقد استعمل جوسر هذه الكلمة على لسان الطالب الذي يخاطب حبيبته على أنها الطير الجميل أو العقار الشافي السنـا . ومن الجدير بالذكر هنا هو أن هذا العشب ما زال مستعملاً عندنا في الأوساط الشعبية ويطلقون عليه اسم (السناوين) .

٣ ـ حكاية المحامي The man's of Law's Tale

حكاية رجل القانون تدور حول ملك سوريا المسلم الذي تزوج ابنة امبراطور روما ، وموقف الملكة الوالدة التي اخذت تدبر المكائد لتفرق بين ابنها وزوجته ، شأنها بذلك شأن الحموات تجاه الكنّات ، ذلك الموضوع الذي ما زال متداولاً حتى اليوم . وقد وردت ضمن هذه الحكاية المفردات التالية :

O Mars, O **atazir,** as in this cas! 305-306
O Fieble moone, unhappy been thy Pass!

التأثير Atazir

التأثير كلمة عربية تستعمل في موضع فلكي يكون فيه القمر ذا تأثير على طالع الانسان ، وهو اعتقاد قديم . وقد استعمل جوسر الكلمة بهذا المعنى متأثراً باللفظ والمفهوم العربيين . وقد اشرنا في مقدمة هذا البحث إلى تأثر جوسر بعلم الفلك والنجوم عند العرب .

The hooly lawes of oure **Alkaron** 332-333
Yeven by Goddes message **Makomete**

القرآن Alkaron- Al-Quran
محمد Makmote-Muhammad

وقد وردت الكلمتان اعلاه كقسم جاء على لسان الملكة الوالدة .

Forth gooth hir ship thurghout the narwe mouth
Of **Jubaltare** and **Septe,** dryvynge ay 946-947

جبل طارق Gubaltar-Gibraltar

مضيق جبل طارق ، وقد سمي بهذا الاسم تكريماً للقائد طارق بن زياد الذي عبره بجيشه عام ٧١١ للميلاد إلى الاندلس ، وما زال هذا الاسم مستعملاً في جميع اللغات الأوروبية علماً بأن اللفظ الذي استعمله جوسر هو الأقرب من العربية . وقد ذكر في الحكاية في معرض الحديث عن السفر والموانيء التي يمر بها المسافرون .

سبته Septe

سبتة ، مدينة في شمالي افريقيا على المضيق ، وقد ذكرها جوسر بنفس المناسبة أعلاه

٤ ـ حكاية البحار The Shipman's Tale

وتدور هذه الحكاية حول التاجر الذي خانته امرأته مع قريبه الكاهن وكان الزوج قد وثق بها . وقد وردت في هذه الحكاية الاشارة إلى جانيلون الفرنسي وهو رمز الخيانة بالنسبة للأوروبيين وقد اورده جوسر على لسان الزوجة الغادرة التي تقسم داعية من الله أن يجعل مصيرها كمصير هذا الخائن إن لم تكن وفية . يقول جوسر بهذا الصدد :

And but 9 do, God take on me vengeance
As Foul as ever hadde **Genylon of France.** 1383-1384

جانيلون الفرنسي Genylon of France

جانيلون الفرنسي وهو الشخص الذي غدر برولاند وصاحبيه وهم يحمون مؤخرة جيش شارلمان في حروبه مع الجيوش العربية مما تسبب في هزيمة شارلمان وانتصار العرب . ورد ذلك في أغنية رولاند وهي أشهر حكايات الفروسية الأوروبية التي عرفها العصر الوسيط .

٥ ـ حكاية السيد توباز وهو الشاعر نفسه : Chaucer's Tale of Sir Tropaz

حكاية السيد توباز حكاية رومانسية غير كاملة . لأن المضيف كان قد قاطع الشاعر مستهجناً اسلوبه . وقد وردت في تلك الحكاية المفردات العربية التالية :

1920 زعفران Saffron

دخلت كلمة زعفران إلى اوربا عن طريق اللغة العربية وقد استعملها جوسر لوصف لون الشعر .

2045 كمون Comyn, Cumin

دخلت هذه الكلمة إلى اوربا عن طريق اللهجات العربية القديمة (الساميات) وقد استعملها جوسر مع أنواع التوابل والمقبلات .

٦ ـ **حكاية الفارس الصغير** The Squire's Tale

وقد ذكرنا ملخص هذه الحكاية بقسميها سابقاً . ووردت ضمنها المفردات التالية :

البلاد العربية Arabe-Arabia

وردت هذه الكلمة عند الاشارة إلى أن الفارس الذي حمل الهدايا كان قادماً من عند ملك الهند والبلاد العربية .

They speken of **Alocen, and Vitulon,**
And Aristotle, that writen in hir lyves 232-23·
Of queynte mirours and of Perspectives,
As knowen they that han hir bookes herd.

الحسن Alocen-Alhazen

الحسن بن الهيثم البصري ، رياضي وفيزياوي عربي من القرن الحادي عشر للميلاد ، وقد قام بأول تطوير لعلم البصريات وذلك في مؤلفه حول هذا الموضوع وقد ترجم كتابه إلى اللاتينية عام ١٢٧٠ للميلاد . ويذكر أن ابن الهيثم استنبط نظريات صحيحة حول انكسار الضوء وانعكاسه والعدسات وقوس قزح وغيرها . وكان اول من اورد مقولة صحيحة في الرؤية ، إذ انه ذكر بأن الضوء يأتي من الغرض الذي تراه العين . وقد اسهمت نظرياته في صنع التلسكوب فيما بعد .

ذكر جوسر هذا العالم العربي في معرض الحديث عن المرآة السحرية كما رأينا اعلاه ، واشار إلى اعماله في مجال المرايا والضوء والبصريات ، كما ذكر اسم الشخص الذي قام بترجمة كتاب ابن الهيثم إلى اللاتينية مما يدل عى اطلاع جوسر على مؤلفات هذا الفيزياوي العربي .

فيتولون Vitulon-Witelo

فيتولون عالم رياضي بولندي قام بترجمة كتاب ابن الهيثم عن البصريات إلى اللاتينية عام ١٢٧٠ للميلاد .

265 الذراع Aldiran

الذراع ، كما وردت الكلمة في الحكاية ، تشير إلى نجم من نجوم الجوزاء ، أو هو ذراع الأسد ، وهما كوكبان نيران ينزلهما القمر وذلك طبقاً لتفسير اختصاصي جوسر . وقد ورد مثل هذا التفسير للكلمة في لسان العرب (باب ذرع) .

٧ ـ حكاية حامل صكوك الغفران The Pardoner's Tale

لقد ذكرنا ملخص هذه الحكاية سابقاً . ويجد القارىء أدناه الأبيات التي وردت فيها المصادر والمفردات العربية :

In Flaundres whilom was a compaignye
Of yonge Folk that haunteden folye, 460-6
As riot, **hasard**, Stywes, and tavernes,
Where as with harpes, **Lutes,** and **gyternes,** They daunce and Pleyen...

الزهر hasard-hazard

الزهر ، ويعني بها جوسر لعبة النرد أو القمار عامة . وقد تطور معنى كلمة ـ الزهر ـ في اللغة الانكليزية واصبحت تعني المصادفة أو الحظ .

العود Lute

العود اسم الآلة الموسيقية وقد دخلت الكلمة إلى اللغات الأوربية نقلاً عن العربية .

قيثارة gyternes-guitar

قيثارة ، وقد دخل اسم هذه الآلة الموسيقية إلى اللغات الأوروبية نقلاً عن العربية .

وفي معرض حديثه عن السموم وتأثيرها ، تطرف جوسر إلى ذكر ابن سينا ومؤلفه : القانون في الطب ، كما هو واضح في الأبيات الآتية :

But certes, suppose that **Avycen** 890-895
Wroot never in no **Canon,** ne in no **Fen,**
Mo wonder signes of empoisonyng
Than hadde thise wrecches two, er hir endyng.

ابن سينا Avycen-Avicenna

وقد مرّ الحديث عنه سابقاً

قانون Canon

كتاب القانون في الطب لابن سينا

فن Fen

ويطلق ابن سينا على كل قسم من أقسام كتابه اسم : فن ، وقد ورد في ذلك الكتاب قسم السموم وهو « الفن السادس ، كلام مجمل في السموم » وهنا تطرق ابن سينا إلى ذكر أنواع السموم وتراكيبها واعراضها وكيفية معالجتها[٢] . ومن الواضح أن الشاعر الانكليزي جوسر كان قد اطلع على هذا المؤلف مما جعله يستشهد به وهو يتحدث عن أعراض السم الذي شربه الرجلان الطامعان فماتا .

٨ ـ حكاية مساعد الكاهن (الكيمياوي) The Canon's Yeoman's Tale

يتحدث مساعد الكاهن هنا عن سيده الذي انصرف إلى تجاربه الكيمياوية وهو يحاول بهذه التجارب أن يحول المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة . وقد ورد في هذه الحكاية عدد من المفردات العلمية التي دخلت إلى اوروبا عن العربية ، وما زالت

(٢) ـ القانون في الطب لابن سينا ، بولاق ، ١٢٩٤ هـ ، ٣ ، ٢١٧ .

تلك المفردات موجودة ضمن القواميس الأوربية . ومن امثلة تلك الكلمات ما يلي :

7,0	بورق	boras-borax
7,4	الامبيق	alambike-elembic
810	القلي	alkaly-alkali
1204	الكيمياوي	alkamystre-alchemist
863	الأكسير	elixir

الأكسير أو حجر الفلاسفة وهو المادة التي كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعادن الخسيسة إلى ذهب وإن لها القدرة على منح الانسان الخلود . وقد عرفت اوربا هذه الكلمة عن طريق العرب . أما الفكرة التي تدور حول ايجاد مادة تهب الانسان الخلود فهي واردة في ملحمة جلجامش اقدم ملحمة من نوعها عرفها التاريخ .

يتضح من المعلومات السابقة أن حكايات كانتربري للشاعر الانكليزي جوسر تحتوي على عدد كبير من اسماء المفكرين العرب وأسماء المدن العربية والمفردات العربية العلمية والموسيقية . فاذا علمنا أن المؤلفات العربية كانت قد ترجمت إلى اللاتينية وإلى اللغات الأوربية الأخرى في زمان سابق لزمان جوسر ، ادركنا أن مؤلف حكايات كانتربري كان قد اطلع على جانب كبير من تلك المؤلفات والانجازات العربية ، وإنه قد أجاد توظيفها في اماكن مناسبة هامة من مجموعته القصصية ، فجاءت تلك المجموعة زاخرة بروح العصر الذي عاش به جوسر ، العصر الذي اتسم بسيطرة الفكر العربي على اوروبا في جميع مجالات الحياة .

الخلاصة

نستخلص مما سبق أن أعمال الشاعر الانكليزي جوسر (١٣٤٠ ـ ١٤٠٠) ، ولاسيما حكايات كانتربري ، جاءت غنية بالآثار العربية . ويمكن أن تصنف الآثار العربية في حكايات كانتربري إلى ثلاثة اصناف هي :

١ ـ التشابه الوارد بين عدد من حكايات كانتربري والحكايات العربية .

٢ ـ التشابه في الاسلوب الذي جمعت بواسطته حكايات كانتربري والاسلوب الذي جمعت بواسطته حكايات الف ليلة وليلة .

٣ ـ الاعلام والمفردات العربية التي وظفها جوسر في مناسبات عديدة خلال حكايات كانتربري .

إن التشابه بين حكايات كانتربري والحكايات العربية يمكن أن يلمس في ثلاث حكايات هي :

اولاً ـ حكاية الحصان الطائر والمرآة والخاتم السحريين التي وردت في القسم الأول من حكاية الفارس الصغير لجوسر ، وهي مشابهة لحكاية الحصان الطائر والطاووس والبوق السحريين التي وردت في الليلة السابعة والخمسين بعد الثلاثمائة من كتاب الف ليلة وليلة . فالحكايتان من الرومانس ، وتدور كل منهما حول السحر ، وتعكس طموح الانسان اللاواعي نحو تطوير سبل حياته .

ثانياً ـ حكاية الأميرة كانيس والصقرة ، وقد وردت في القسم الثاني من حكاية الفارس الصغير لجوسر ، وهي مشابهة لحكاية الأميرة دنيا والحمامة ، التي وردت في الليلة الرابعة والثلاثين بعد المائة من كتاب الف ليلةوليلة . والحكايتان من الرومانس ، وتدور كل منهما حول غدر الرجال وعدم وفائهم لنسائهم ، وقد

اكتشفت كل من كانيس ودنيا تلك الحقيقة من خلال تجربة حدثت في عالم الطيور . وكل حكاية من الحكايتين المذكورتين تعتمد على عنصر خارق أو فوق طبيعي لكشف المقولة التي أراد الكاتب اثباتها ، وذلك العنصر هو الخاتم السحري الذي يجعل لابسه يفهم لغة الطيور ، وهو وارد في حكاية جوسر ، والحلم الذي رأته السيدة دنيا ، وهو وارد في حكاية الف ليلة .

ثالثاً ـ حكاية حامل صكوك الغفران لجوسر ، وهي تدور حول الطمع الذي يقتل الانسان ، وتلك الحكاية مشابهة لحكاية وردت في كتاب حياة الحيوان للدميري ، وهذه الحكاية كنظيرتها الانكليزية ، تدور حول ثلاثة رجال يقتلهم حب المال وبنفس الطريقة . والحكايتان الجوسرية والعربية من باب المواعظ الدينية المسيحية .

وبالاضافة إلى التشابه الوارد بين حكايات كانتربري والحكايات العربية في مجال الحبكة أو المخطط كما رأينا أعلاه ، فإن الأسلوب الذي وردت به حكايات جوسر هو ذات الأسلوب الذي وردت به حكايات الف ليلة وليلة . وذلك الأسلوب هو الذي عرف من قبل المتخصصين بأدب القصة والرواية ، بحكاية الاطار. Frame-Story وقصة الاطار هي القصة الواحدة التي تجمع ضمنها عدداً من القصص القصيرة وتوحدها . إذ إن جوسر اتخذ من حكاية حجاج كانتربري اطاراً لجمع حكاياته . فجعل كل حاج من الحجاج يروي للآخرين حكاية لكي يقطعوا الطريق ذهاباً واياباً إلى مرقد القديس توماس بكت في كاتدرائية كانتربري . كما كان صاحب الليالي قد فعل من قبل ، بأن جعل شهرزاد تقص كل ليلة على شهريار قصة تقطع بها الليل وتؤجل موتها . فكانت حكاية شهريار وشهرزاد هي الاطار الذي وحد الحكايات واكتنفها .

أما المفردات والاعلام العربية فهي موجودة في عدد كبير من حكايات كانتربري ، وتشغل مراكز هامة في تلك الحكايات . فالفارس الجوسري اكتسب المجد والشرف في المواقع التي خاضها ضد الجيوش العربية في غرناطة والجزيرة الخضراء وتلمسان والاسكندرية ، في حين أن جالينون الفرنسي اكتسب اللعنة الدائمة بسبب خيانته جيش شارلمان مما تسبب بهزيمة ذلك الجيش أمام الجيش العربي . والطبيب الجوسري اكتسب شهرته العلمية من خلال ما قرأه من مؤلفات العرب ، أمثال علي بن العباس والرازي وابن سينا وابن رشد وغيرهم ، والسموم

التي قتلت الطامعين في حكاية حامل صكوك الغفران تجلب إلى الأذهان ما كتبه ابن سينا في فن السموم الوارد بكتاب القانون في الطب . وطالب العلم في اكسفورد يستعمل الحصيّات (الخوارزميات) في حلّ مسائله الجبرية ، والمرآة المسحورة بهرت الانكليز وذكرتهم بمؤلفات الحسن بن الهيثم حول المرايا والعدسات وانعكاس الضوء وانكساره وما إلى ذلك من علم الفيزياء الفني . والكيمياوي الجوسري الذي اكتسب اسمه (الكيمياء) من العربية ، كان يستعمل مواد وأجهزة كيمياوية تعرف عليها بواسطة العرب مثل الامبيق والبورق والقلىٰ ، وكان يبحث عن الأكسير ، تلك المادة السحرية العجيبة التي تحول المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة من جهة ، وتهب الانسان الخلود من جهة اخرىٰ . وكلمة الاكسير عرفها الأوربيون عن طريق العرب ، كما أن فكرة المادة التي تهب الانسان الخلود كانت قد وردت في جلجامش وهي اقدم ملحمة عرفها الانسان .

إن التشابه الوارد بين حكايات جوسر والحكايات العربية في الحبكة أو المخطط وكذلك في اسلوب جمع الحكايات ، مع وجود علاقة تاريخية تفيد سبق الحكايات العربية وترجمتها إلى اللغات الأوروبية وتداولها بين الأوربيين ، ليشير إلى أن حكاياتنا الشعبية كانت من المكونات الخلفية لحكايات كانتربري . كما أن ورود الاعلام والمفردات العربية في حكايات جوسر ليشير بأن هذا الشاعر الانكليزي كان مطلعاً على المؤلفات العربية التي ترجمت إلى اللاتينية وإلى اللغات الأوربية الأخرىٰ قبل زمانه ، وإنه قد أجاد توظيفها في مجموعته القصصية فجاءت تلك المجموعة زاخرة بروح العصر الذي عاش به ، العصر الذي اتسم بسيطرة الفكر العربي على اوربا في مجالات عديدة .

وختاماً لا بدّ لنا أن نقول بأن الأدباء والنقاد المتخصصين بدراسة جوسر ، قد اتفقوا على أن هذا الشاعر العظيم هو شيخ شعراء الانكليزية قبل شكسبير ، وبأن حكايات كانتربري هي اعظم اعمال هذا الشاعر ، بل هي اعظم عمل من نوعه في تاريخ الأدب الانكليزي ، وهم يعزون عظمةهذاالشاعر إلى قدرته على استيعاب المصادر الفرنسية والايطالية وتطويرها وتوظيفها في مؤلفاته . ونود هنا أن نضيف بأن المصادر الفرنسية والايطالية لم تكن وحدها وراء عظمة جوسر وروعة مؤلفاته ، وإن المصادر العربية قد زودت مؤلفات الشاعر الانكليزي العظيم بالأخبار والمعلومات والألوان التي ميزتها وزودتها بروح العصر وجعلتها تصنف بين الآثار التي كتب لها

الخلود . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فإن هذه الدراسة تؤكد أن دراسة الأدب الشعبي الحديثة المقارنة سوف تلقي الضوء على تأثير الأدب العربي ، مادة واسلوباً ، على الأدب الأوربي .

مصادر البحث

المصادر العربية

الف ليلة وليلة ، طبعة بولاق ، ١٢٥٢ هـ
الف ليلة وليلة ، دراسة لسهير قلماوي ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٩٤٣ .
« أمثال من موريتانيا » لعبد الباري عبد الرزاق النجم ، مجلة التراث الشعبي ، العدد ١٠ ، السنة ٨ ، ١٩٧٧، ١٥٢ .
حياة الحيوان الكبري للدميري ، دار الفكر ، بيروت . الحب بين تراثين لناجية مراني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ .
« شهريار وشهرزاد وحجاج كانتربري » لناجية مراني ، مجلة التراث الشعبي ، العدد ٨ ، السنة ١٠ ، ١٩٧٩ ، ١٣١ - ١٤١
الفهرست لابن النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت . « الفولكلور والميتولوجيا » ، هـ . ر . ايليس ديقدسن ، ترجمة ناجية مراني ، التراث الشعبي ، العدد ٧ ، السنة ٨ ، ١٩٧٧ ، ٩ - ٢٧ .
القانون في الطب لابن سينا ، بولاق ، ١٢٩٤ هـ .
مروج الذهب للمسعودي ، الطبعة الأوربية .

المصادر الانكليزية

دائرة المعارف الاسلامية The Ency. of Islam, 1960
دائرة المعارف البريطانية The Ency. B., 1977
قاموس اكسفورد The Oxford English Dictionary
قاموس وبستر Webster's Dictionary.

مصادر اخرىٰ

Baugh, A. **Chaucer's Major Poetry,** London, 1964.
Bryan, W., and Germaine Dempster, (eds) **Chaucer's Canterbury Tales: Sources and Analogues,** London, 1958.

Chaucer, Geoffrey, **The Complete Works,** (ed). W.W. Skeat, London, 1957.
Evans, G., **Chaucer,** London, 1977.
Gibb, H., «Literature», in **The Legacy of Islam,** (eds) Sir Thomas Arnold and Alfred Guillaum, Oxford University Press, 1960.
Gillie, Christopher, **Longman's Companion to English Literature,** London, 1972.
Hume, M., **Spanish Influence on English Literature,** London, 1905.
Jones, C., (ed). **Medieval Literature in Translation,** London, 1952.

فهرست المحتويات

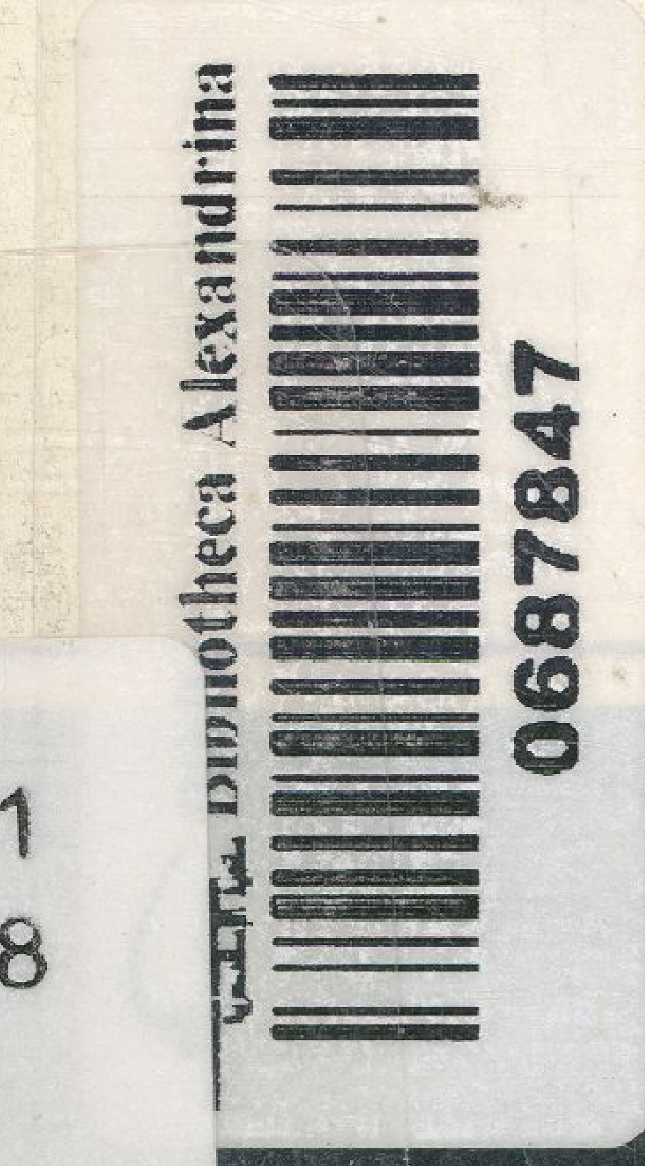
توبـاز ـ في حكاية الفـارس الصغـير ـ في حكاية حامـل صكوك الغفران ـ في حكاية مساعد الكاهن ـ خلاصة الفصل الثالث .

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الرشيد للنشر

مؤسسة الرياضي للطباعة العامة
كويت

الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
بغداد

تصميم الغلاف :
سلسبيل ناجي



السعر ١٠٠ فلس